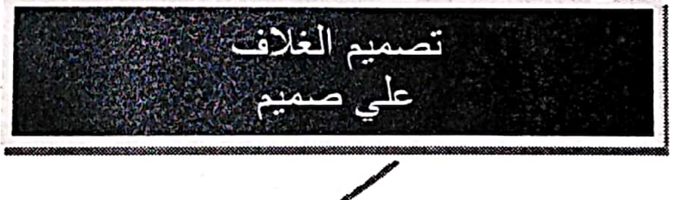

طلال سليم آل جعفر
على رصيف الجوع تنمو الشقائق
رواية قصيرة
الطبعة الاولى
2020

على رصيف الجوع
تنمو الشقائق

المؤلف: طلال سليم آل جعفر
الكتاب: على رصيف الجوع تنمو الشقائق
نوعه: رواية قصيرة
الحجم: ١٤* ٢١سم
عدد الصفحات: ١٢٨
الطبعة الاولى
الناشر: دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع/ العراق - الموصل

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٧٩) لسنة ٢٠٢٠





دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق – الموصل
المجموعة الثقافية
هاتف: +9647701664335
E.mail: mashky2019@gmail.com

على رصيف الجوع
تنمو الشقائق

رواية قصيرة

طلال سليم آل جعفر

الطبعة الأولى ٢٠٢٠



الإهداء..

الى جيل لم يظهر بعد ...

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومِنَ الصَّخْر يتفجَّر المَاءُ

لِيَرْوي عِراقا آخر

ليْسَ مِنَ السَّهْلِ اخْتصارُ مَأساةِ الناسِ البُسَطاءِ في أَوْطانِنا، الذين تَسْكُنُ المُعاناةُ في كُلِّ تفاصِيلِ وَمَفاصِل حَياتِهم ، ويَعُضُّون على جِراحِهم . وليسَ سَهْلٌ أيضًا نَقلُ صورَةٍ عنْ مَدَى آلامِ المُواطِنينَ الشُّرفاء ، الذينَ شاهَدوا بِأمِّ أعْيُنِهم الدِّيدان وهِيَ تنْخرُ في جِسْم الوَطن . وتُعْلنُ وَلاءَها لأَعْدائِه. إلا أنَّ الأديبَ ، والشَّاعرَ طلال سليم آل جَعْفَر الحَديثي في رِوايَتِه « على رصيفِ الجُوعِ تنْمُو الشَّقائِقُ »، يَتَصَدّى لِذلك . ويَنْقلُ لنا كثيرًا منْ تِلكَ المُعاناتِ وفُصولِهَا . حتَّى أَنَّه أخذَ بِأيْدينا . وجَعَلنا نَسِيرُ مَعَهُ وَسَط الرُّكام ، وأزيزِ الرَّصاص ، وَحُقولِ الألغام ، وَالجُثثِ المُتفحِّمَةِ ، وتأوُهَاتِ الأمَّهاتِ على أبْنائِهِنَّ ، وتَضَوُّر أمْعاءِ الأطفالِ الجَوْعى ، والمُشرَّدينَ في المُخيَّمات . أو الذينَ بِلا مَأوَى ، وكل ذنْبِهِم أنَّهُم بَشَرٌ ضُعفاءٌ ، في مُواجَهَةِ سَاسَةٍ مِنْ نوْعِيَّة الذئاب . ورِجالِ دِينٍ ، لا يَعْرِفونَ مِنَ الفضِيلةِ إلا اسْمَها . ولا يَتورَّعُونَ عنْ فِعْلِ كلِّ أنْواعِ المُحَرَّماتِ . وهَلْ هُناكَ مُحَرَّماتٌ أفْظعُ ، وأشْنعُ ، بَعْد خِيانَةِ الوَطنِ ، والخُنوع لأعْدائِه...؟!

أقلِّبُ صَفحَات هذا العَمَلِ الأدَبِيّ، الذي يُهْديهِ كاتِبُهُ « إلى جيلٍ لمْ يَظهَرْ بَعْد »... فأحِسُّ بنَهَم إلى القِراءَة لا يَتوقّف . وبِظمَأ ،

مع أنّني أقِفُ على شاطِئ العَرَبِ ، دونَ أنْ أنادي يا خليجُ لِكَيّ يَسْقُط المَطر...! فالخُلْجان باعُوا العِراقَ الذي دَافعَ عَنْ كرامَتِهِم وَعِرضِهِم وَأهْله بِثمنٍ بَخْس . شاطِئ طالما رَوَتْ حَضاراتُه عَطشَ العالم لِلعِلم والمَعْرِفة . وَرَوَتْ مِياهَهُ العِطاشَ عَبْرَ التاريخ . أقِفُ في حَضْرَةِ رِوايةٍ عِراقِية ، حَبيسًا بيْنَ زَمَنيْن ، وعَالمَيْن . أحَدُهُما أعْرِفُه ، ويَعْرِفُهُ كلُّ العِراقِيينَ والعَرَبُ . ألا وهُوَ ، عِراقُ العِزّةِ ، والكرامَةِ ، وَالمَجْدِ ، وَالحَضارَةِ ، والإباءِ . وَعِراقٌ آخر، هُوَ صَنيعَة الحَتاجِيتِ ، وَمَنْ لا أَصْلَ لهُم . وسُؤالٌ على شِفاهِ كلِّ شبابِ العِراقِ اليوْمَ: « تُرى هَلْ نحْنُ أقلُّ هِمَّة مِنْ آبائِنا لِندَعَ أرْضَنا مَرْتعًا لِعُلوجِهِم...؟ ». بلْ أقِفُ ما بين دِجْلة والفُراتَ . أعْني قصِيدَتيْن ، تسيرانِ جنْبًا إلى جَنْبٍ مَعَ هَذا العَمَلِ الإبْداعِي ، نحْوَ نفْسِ الهَدَفِ بتناغُمٍ وَتكامُلٍ . وَهَلْ الأعْمَالُ الأدَبيَّة إلا كأسْنانِ المِشْطِ ، تتناسَقُ مع بَعْضِها شكْلا ، ومَوْضوعًا ، وَطبيعَة ، وَدَوْرًا...؟ وَهُما للشاعِرِ العِراقِيّ عبْد الوَهَّاب البَيَّاتي . وقدْ نَظمَهُما في القرْنِ المَاضِي . وَلكنَّ رُوحَهُ ، وَمَعاني شِعْره ، مَا زالتْ تُرَفْرِفُ على العِراقِ وَأهْلِهِ . فتُبلسِمُ كلِماتُهُ جِراحَ شعْبِه . وَأكادُ أرَى ابْتِساماتُه المُتعانِقةِ مع دَمَعَاتِه ، وَهُوَ يَرَى حَالَ العِراقِ مِنْ عَليائِهِ ، فيُكرّرُ دَرْسَهُ لِلمُتقاعِسِين .

وَحَقِّ أسْمَاءِ الكِلاب

لا مَجْدَ تحْتَ الشّمْس

إلا مَجْدَ أبْناءِ الحَيَاة

والخُبْزِ والحُرِّيَّة الحَمْراء والغَدِ والمَصير...

لِيرْتفِعَ صَوْتُه في القصِيدَةِ الثانيةِ صَارِخًا في أبْناءِ الوَطنِ ، أحْياء وأمْوات وَفي الذّرارِي التي مَا زَالتْ في عِلمِ الغَيْبِ تَسْتريحُ في الأصْلابِ مُخْبِرًا صغيرَهُ :-

راياتُ شَعْبِكَ ، يا صَغيري بِالدِّماء

وأنْتَ لاهٍ لا تُجيب

لاهٍ بِلعْبَتِكَ الجَديدَةِ ، لا تُجيب

وعُيونُ أمِّكَ في انْتِظاري

والسَّمَاءُ

والليْلُ في بَغْدادَ يَنْتظِرُ الصَّباح

وبَائِعُ الخُبْزِ الحَزينِ

يَطوفُ في الأسْواقِ ، والعُمْيانُ والمُتَسَوِّلونَ

يَسْتأنِفونَ على الرَّصيفِ

تِلاوَةَ الذِّكْرِ الحَكيمِ

وَوَراءَ أسْوارِ السُّجون

يَسْتَيْقِظُ الشَّعْبُ العَظيم ...

تَغوصُ الرِّوايةُ في مُعاناةِ عِراق العُروبة ، الذي أصْبحَ مُحْتلا من مِيليشيات ، وَلاؤُها لِلخارجِ ، ولِعَدوِّ الأمْس...! عِراقٌ ضربَهُ طاعونُ الإرْهابِ ، فَغَدا حَمَلةُ السِّلاحِ فيه مُسَيَّرونَ منْ أجْهِزة دُول ، ومُخابرات لا عَدَّ ولا حَصْرَ لها . عِراقٌ نَشأ في رَحِمِ المَأساةِ ، وَوَسَطِ الأوْحالِ ، بِكلِّ أنواعِها . عِراقٌ أصْبَحَ لا يَعْرِفهُ أهْلهُ . ولا

نحنُ نعْرفُ أبْناءَه . ولا المآلَ الذي سَيكونونَ عليهِ غدا...؟ ولا كيْفَ ستكونُ نظرتُهم إليْنا ، وكيفَ سَيتعَاملونَ مَعَنا...؟ عِراقٌ تَمَخَّضَ عنِ الاحْتِلالِ الأمْريكيِّ . وكلِّ الذين دَخلوا على حِمَارِهِ ودبَّاباتِه ، وتَحْتَ رايتِه . وذلك من قبْلِ أنْ تبْرأ جِراحُ أبْطالهِ ، الذينَ دافعوا عنْ تُرابِه بِشراسَةٍ وبُطولةٍ ؛ في بَنْجَوين ، ومَنْدَلي ، والشّلامْجَة ، ونَهْر جَاسِم ... وتمَخَّضَ أيضًا ، عن احْتلال غُزاةٍ قادِمينَ مِنَ الشَّرْق . يقولُ عنهمُ الكاتب: « رِياحٌ صَفْراءَ مُحَمَّلة بكلِّ أحْقادِ أبي لؤْلؤَة وأحْفادِهِ التي هَبَّتْ عليهم وهُمْ مُتشبِّثونَ بِمُرْتفعاتِ (مَيْمَك ومَاوْت وكانَ الشيخ وسِواها) ». (ص. ٨٥) . عِراقٌ نَشَأتْ فيهِ طبقةٌ انْتِهازيَّة ، فاسِدَةٌ إلى أبْعدِ الحُدود . نَبتتْ كالفِطريَّات على شَرايينِ قلبه ، فامْتصَّتْ دَمَهُ ، وخيْراتِه ، ودَمَ المُواطِنين . طبقةٌ غابَتْ الأخْلاقُ والإنْسانِيَّة منْ قواميسِها ، فلا تعْرفُ إلا ألْوانَ الأوْراقِ النقْدِيَّة...! عِراقٌ لا يَعْلو فيهِ صَوْتُ فوْقَ صوْتِ الدُّولار والدَّجَل الطائِفيِّ المَذْهبي .

يَتناوَلُ الأدِيبُ طلال سَليم آل جعفر الحَديثي في عَمِلهِ هَذا أيضًا ، مُعاناةَ النازِحينَ الذين أضاعُوا بُيوتَهُم وأرْزاقهُم . وأصْبحوا اليوْمَ عَالةً على اللئام ، والحَاقِدينَ منْ أبناءِ وطنِهم . وأحْوَجَتْهُمُ الأيامُ إلى الحُثالاتِ منْ بني البَشَر فيَتقبلونَ صَّدقاتِهم ومَعوناتِهم . مُوَضِحًا مَا أحْدَثهُ النُّزوحُ في دواخِلِهِمْ منْ تمزُّقٍ ، وتَصَدُّعٍ ، وآلامٍ بعْدَما غدوْا مُشَرَدينَ ضائِعينَ في شوارِعَ المُدُنِ ، والمُخَيَّمات . فامْتلأتْ دَوَاخِلهُم بالحِقْدِ على مَنْ كانوا السَّببَ . مِمَّا

دَفعَ عَددًا كبيرًا مِنْ شبابِهِ إلى الهِجْرَةِ، وَالهَرَبِ مِنَ الجَحِيم . أوْ سُلوكِ طريقٍ لا عَوْدَةَ مِنْهُ ، إلا شُهَداءَ ، أوْ أحْرارَ ، لا مُشرَّدينَ ، ولا نازِحين ...

شـالو سلاح الولد　　　داسـوا على الكلفات

والمات لاجل الوطن　　　حي وأبد مـا مات

يَأتي هَذا العَملُ مُبَسطا مِنْ حَيْث تراكِيبِ شخْصِيَاتِهِ ، حيثُ لمْ يَحْشِهِ الكاتِبُ بِكَمٍّ كبيرٍ مِنَ الشَّخْصيَّاتِ المُركّبة ، التي قدْ تُبْعِد القارئَ عنْ القضايا الأسَاس وهِيَ الوَطنُ والإنْسانُ والمَصِيرُ ... وأتى أسْلوبَهُ في الكِتابَةِ سَلِسًا مُبَسَّطًا ، لا يُشْغِلُ القارئَ أيْضًا بِمعانِي المُفرداتِ ، وَمَضْمُونَها ، وَمُؤَدّاها . هَادِئًا بَعيدًا عَنِ الانْفِعالِ ، يُحْدِثُ في النفوسِ تَفاعُلاتٍ لا تَنْتهي . لِتَأتِي عِباراتُهُ بِالعَامِيَّةِ العِراقِيَّة أحْيَانًا ، كالبَهارِ على أطْباقِ الطعَام . فتَجْعَلَ مِنَ السَّرْدِ أكْثَرَ شَهِيَّة . وأكْثَرَ وَاقِعِيَّة ، وحَيَوِيَّة . طبْعًا دُونَ أنْ يَنْسَى الكاتِبُ شاعِرِيَّتَهُ . فيُضيفَ لبُنْيَةِ السَّرْدِ شَبابِيكَ . أيْ أبْياتًا مِنَ الشِّعْرِ العَامِيِّ « الهَوْساتْ ». يُطِلُّ مِنْهَا القارِئُ على أحْداثِ الرِّوَايَةِ ، والواقِعِ في آنٍ مَعًا. فتُخْصِّبُ مُتَخَيَّلهُ . وتتفاعَلُ مَعَهَا رُوحُهُ . وتَهَبُ النصَّ قُوَّةً . وتُجَذِّرُهُ في المُجْتَمَعِ الذي نَبَتَتْ فِيه .

يَسْتخْدِمُ الكاتبُ العِبارات، والمُفردات، والأحْداثَ التي تتوالى دُونَ تَوَقف. ليقومَ مِنْ خِلالِها بإسْقاطاتِه. وأيْضًا مِنْ خِلالِ الشخْصِيَّات، ورَغيفِ الخُبْزِ «الصَّمُّون ». الذي يَتنقّل بيْنَ أيْدِي

مُخْتَلفِ شرائحِ المُجْتمَعِ ، والكُل بحاجَةٍ إليهِ . إنَّه لقْمَة العَيْشِ ، وعَمُودُ حَياةِ الفُقَراءِ. الذينَ أفْقَرَهُمُ السَّاسَةُ، مُدَّعُو الوَطنيَّة، والالتِزام بالدِّين. أصْحَابُ اللِّحَى ، والمَسَابِح ذاتِ الحَبَّاتِ اللامِعَة . الذين سَرَقوا كلَّ خيْراتِ الوَطنِ ، وأَوْدَعُوها في حِساباتٍ مصْرِفيَّةٍ في دُوَلٍ يَدَّعُونَ مُحارَبَتها . فيُحِسُّ القارِئُ أنَّهُ دخَلَ في المَوْضوعِ مُباشَرَةً مِنَ الأسْطُرِ الأولى . فأدِيبُنا لا يُحِبُّ الإنْشائِيَّاتِ ، ولا المُقَدِّماتِ الشَّاعِرِيَّةِ . ورُبَما تَرَكَ ذلكَ إلى الشِّعْرِ ، عِنْدَمَا يَمْتَطي صَهْوَتَه .

يُشَكلُ رغِيف « الصَّمُّون »، مِحْوَرًا أسَاسًا . كَعَمُودٍ يُعَلقُ عليهِ الكاتِبُ تفاصِيلَ الأَحْداثِ. وكمُنْطلقٍ إلى كُلِّ التفَرُّعاتِ ، والأَحْداثِ الصَّغِيرَةِ الأُخْرَى ، التي تَعُجُّ بِها السُّطورُ . وهُوَ مَا يُعْطيها أَبْعادًا مُخْتلِفةً . فَمَنْ مِنَّا لمْ تُعَشِّشْ رائِحَةُ «الصَّمُّون » في قلبِهِ ، مُتَماهِية مع رائِحَةِ صَدْرِ أمِّه . أيْ تُراب وَطَنِهِ ...؟ ويَتخِذُ مِنْ بَطلةِ رِوايتِهِ « الحَاجَةُ مَيْمُونَة »، رمْزًا لِلمُواطِنِ الشَّرِيفِ، والإِنْسانِ العِراقِيِّ . ولِلْطِيبةِ في كُلِّ تصَرُّفَاتِها ، مِنْ عَطْفٍ على المُحْتاجِين ، وكلِّ مَنْ حَوْلها ، بَعيدًا عَنْ الأنانِيَّة . وأيْضًا رَمْزًا لِلأَصَالةِ في زِينتِهَا وَمَلبَسِهَا . وَحَتَّى في الكلِمَاتِ التي تَتَدحْرَجُ على لِسَانِها ، كضَحِكاتِ طِفْلٍ بَرِئ . فيَبُثُّ الكاتِبُ مِنْ خِلالِها صُوَرًا يَعْشَقُهَا كُلُّ مُواطِنٍ . وَتُذكرُنَا بِتِلْك الأمِّ الصَّابِرَةِ التي حَدَّثنا عَنْها الشَّاعِرُ العَاشِقُ لِلعِراقِ بَدْرُ شاكِرِ السَّيَّاب :-

جَيْكور يَا جَيْكورُ هَلْ تَسْمَعينَ...؟

فلِنَفْتحَ الأَبْوابَ لِلْفاتِحين

وَلتَجْمَعِي أَطْفَالكِ اللاعِبين

في سَاحَةِ القَرْيَةِ هَذا العَشَاءُ

هَذا حَصَادُ السِّنين

المَاءُ خَمْرٌ وَالخَوابي غِذاءٌ

هَذا رَبِيعُ الوَبَاء...

نَقْرأ فِي هَذا العَمَل السَّرْدي ، عَنْ مَسْؤُوليَّة الكلِمَةِ ، وَمُعَاناةِ الكُتَّاب ، والمُثقفين ، وَأزْمَتِهم في بِلادِنا . وَكَيْفَ أَصْبَحَ مَنْ مَعَهُ مَالٌ يَبْرُزُ على السَّطْح ، كحَبَّةِ فولٍ خَاوِيَةٍ نَخَرَها السُّوسُ . ويَنْشُرُ . بَيْنمَا يَبْقى كثيرٌ مِنَ الأَعْمَالِ الجَادَّةِ في طيَّاتِ الأَوْرَاقِ ، والكَرَارِيس .

وفي الخِتامِ تَحْفرُ هَذِهِ الرِّوايةُ لهَا مُستقرًا ، وَتُثبِّتُ جُذورَهَا ، في عَالم الرِّوَايَةِ العِراقيَّة الحَديثَةِ . وهِيَ تُشكلُ دَعْوَةً ، بَلْ دَعَواتٍ لِلثوْرَةِ ، ولِدُخُولِ عَوَالِمَ الحَقيقةِ وَالوَاقِعِ. وَللخُروجِ مِنْ سَرادِيب الظلُمَاتِ المُتعَاقِبَةِ « السَّراديبُ والزَّوَايَا المُظلِمَةُ لا تليقُ بِالأَحْياءِ بِقَدَرِ مَا هِيَ مَثْوًى لِلأَمْواتِ ». (ص. ٨٨). وَيَبْدُو أنَّ الكاتِبَ ترَكَ عَنْ قَصْدٍ بَابَ الرِّوَايَةِ مَفْتُوحًا . لأنَّ جِراحَ العِراقِ ، وَكُلَّ أَوْطانِنا مَفْتُوحَةٌ على مِصْراعَيْها . يُمْعِنُ الجُوعُ سَيْفَهُ في رِقَابِهَا . وَأَصْبَحَتْ لُقْمَةُ العَيْشِ فيها مُبَللة بِالذُّلِّ . وَأَصْبَحَ مِنْ أَجْلِهَا ، يَمْتَطِي المُوَاطِنُ أَمْواجَ البَحْرِ ، وَيَخُوضَ عُبَابَهُ . فَيَعْبُرَ إلى شُطْئانٍ أَكْثرَ أَمَانًا . بَاحِثًا عَنْ رِزْقِهِ، وَلُقْمَةَ عَيْشِهِ . بَلْ مُفَتِّشًا عَنْ قَليلٍ مِنْ نَسَائِمِ الحُرِّيَّةِ ، وَالعَيْشِ بَعِيدًا عَنْ المُخْبِرِينَ ، وَالمُتَدَيِّنينَ الذين يُحْصُونَ أَنْفَاسَهُ ، وَمَسَامَّ جِسْمِهِ ، وَكُلَّ هَمَسَاتِهِ . وَمِنْ وَسَطِ هَذِهِ المُعَاناةِ وغَيْرِها تُولدُ

الحَيَاةُ . كَمَا يَنمُو النَّخِيلُ في الصَّحْرَاءِ ، فَبَهَا مَعْنًى ، وَبَعْضًا مِنْ صِفَاتِ الحَيَاةِ. كذَلِكَ تَنمُو حُرُوفُ رِوَايَةِ الأَدِيبِ والشَّاعِرِ طلال سليم آل جَعْفر الحَدِيثي « عَلى رَصِيفِ الجُوعِ تَنمُو الشَّقائِقُ ». فِي القلبِ، وَالفِكْرِ . وَتَهَبُ القَارِئَ أَمَلًا بِالغَدِ الذِي نَنْتَظِرُهُ على مَفَارِقِ الطرُقِ ، وَمَفَاصِلِ الأَحْداثِ المَصِيرِيَّةِ .

خالد بريش

كاتب وباحث

باريس في ١١ .٢. ٢٠٢٠

١

يد الفران مسعود تقلّبني . لا ادري ماذا كان يتحسس في عجينتي ..! سمعت من بجانبه يقول عني (فطيرة) . أنا لست فطيرة . أنا (مختمرة) ، وداخلي اختمرت أشياء وأشياء لا أقدر على البوح بها .. صاحبه يقول عني فطيرة ويعترض مسعود الفران عليه لأته أعرف بي منه .

لم يكتف مسعود الفران بماكنته التي قلّبتني كثيراً قبل ان تلقي بي عجينة لينة بين يديه ليعيد تقليبي مرات ومرات حتى يتأكد من كوني صالحة للشي . هو سيشويني في فرنه حتماً ولو كنت كما قال صاحبه عني (فطيرة) لأنه تاجر يعتاش على بيعي وأمثالي ، ولا تعني التاجر الجودة ولا قلة الأدب من وفرتهما في البضاعة التي يعرضها للمشترين . حسبه أنني بيضاء حلوة وممتلئة و.. مختمرة أنا ولذيذة سأكون لمن يتذوقني ، وإن كنت عزمت على أن لا أدع أحداً يدنو مني حتى بعد شيي في فرن مسعود .

أنا (صمونة) .. حلوة ومنتفخة ، أحس بتميزي عن الأخريات في كل شيء حتى قبل أن أغدو جاهزة للتناول.. وحتى وأنا مجرد عجينة لينة بين يدي مسعود الفران.

كانت (الصمونة) تحدث نفسها بهذا وأشياء كثيرة أخرى قبل أن تلفحها نار الفرن التي بدأت تحس حرارتها وهي تنتقل من يد مسعود الى قالب الصمون مجاورة أخوات لها حيث ستدخل فرناً لن ترحم حرارته طراوة جسدها أبدا .

(صمونة) تقول إنها ستستأنس لنار الفرن التي تضخ الحرارة في جسدها لتغدو أكثر إغراءً وقبولاً عند من يشتهيها .

بيد من ستقع (صمونة) ، وأي راحتين ستنطبقان عليها وأصابع من ستمزقها .. ومن سيكون الآكل لها ؟!!

أفْهْ .. !!! لن أدعهم يأكلونني . سأقترب منهم أكثر وأشعل في أجسادهم الشهوة حتى تأكلهم قبل أن يمسوني . لن أدعهم يقربونني . أنا صمونة و(اللي ما يعرفك ما يثمنك) . أنا من سيثمن نفسي . لا أحتاج لشهادة شاهد على جودتي وحرارة جسدي . تكفيني قناعتي بنفسي . أنا أشجع منهم وأقوى . هم يخافون النار أي نار ، وأنا لا يكتمل جمالي وتزهو طلعتي بدونها . كيف لمن يخشى النار أن يأكل ما تصنعه النار ؟؟ حيرة والله ولغز لا يفك طلاسمه إلا من تعمد بالنار وكثيرون هم المتعمدون بها ... الثوار ، النازحون ، الفارون من زمهرير العلاقات الاجتماعية ، الفاتحون والمقاتلون والصامدون في المدن المحاصرة .. كلهم قريبون من

النار وكلهم أهل لأن يكونوا أصدقاء لي وأحباء لا آكلين وحسب. سأكون معهم وسيحتفلون بوجودي قربهم حتى لو وصلتهم باردة أو جافّة. أنا صمونة. أنا إكسير حياة المعوزين والمكلومين. قابلت في سكوني وحركتي أشكالاً والواناً. حيوانات ناطقة، وحيوانات خرساء وأخرى دون الاثنين وكلها تتمنى التآلف معي إلا مسعود الفران وأصحابه من عمال الفرن، وحدهم لا يصبرون على بقائي معهم ولا يقبلونني إلا خارج فرنهم، لذلك يلقون بي بيد أول مشترٍ لي. لعن الله النقود التي أرخصتني عندهم! ويلهم.. لا وفاء لهم أبداً. سأعود لهم ذات يوم وسأحاسبهم على قلة وفائهم.. وسأجد لهم الأعذار لو اعتذروا فطبعي السماح و(المسامح كريم)...

كانت صمونة تحدث نفسها بذلك عندما التقطتها يد (الحاجة ميمونة) الجميلة المكتنزة ابنة الخمسين عاما أو يزيد، والتي لا يظن رائيها بعمرها إلا أنه دون الأربعين وقد يزيد عليها أياما. (ايچة) محترمة بحق. ملكة إغراء رغم ثوبها المنسدل على جسدها الذي لا يبدو منه سوى كفين يتمنى كل متمعن بهما لو يلامسهما فقط!. لذلك يتعمد مسعود الفران ملامستها حين يناولها (كيس الصمون) عبر نافذة فرنه المشرعة على الشارع أمام المارة وتدري ذلك وتحسه في كل مرة. قالت له وكررت (بطّل حركاتك مسعود.. آني بگد أمك)، فيرد عليها (على راسي.. أريد أتبارك بأيدچ حجيه). وهو يكذب، وهي تدري أنه يكذب ولا تريد

منعه عن ذلك . لتكن له تلك المتعة التي تؤنسه من خلال ملامساته الخفيفة التي لا يتجاوزها إلا في مرات متباعدة حين يضغط على راحتها ، لتكن له ما دامت تمنحه تلك اللمسات بعض السعادة . لن تحول بينها وبينه أبداً .

يداها البضتان .. جسدها المكتنز (المربرب) كما يحلو لمسعود أن يقول ، طلعتها البهية مغرية رغم تقدم سنها .. قال لها مرة : كيف استطاع الحاج – ويعني زوجها – أن يموت ؟؟ من له امرأة مثلك كيف يموت؟؟ ضحكت حينها وقالت له : كان طيبا رحمه الله وكان يستحقني وسيبدله الله بأحلى مني . أنا متأكدة أنه سيكافأ في آخرته بحورية أجمل مني إن كان هناك حوريات ! تشك الحاجة ميمونة أحيانا بوجود الحور العين لأنها لا تخال أن هناك من يتفوق عليها جمالاً .. ممتلئة هذه الـ (الميمونة) بكل شيء . مكتنزة جسداً ، مشرقة فكراً ، مثقفة ومنفتحة ولكن بحدود . ومؤمنة.. بل غارقة في الايمان لولا موضوع الحوريات . هي تعدها إشكالية ان لم تكن مشكلة لأنها لا تتصور ان هناك من يتفوق عليها جمالا . ليس هناك أحلى مني – كانت تقول – لذا تشك بوجود الحوريات . قالت لصورتها مرة وهي تقف أمام المرآة متملية جسدها (آلو حوريات آلو .. ليش أكو أحلى منج ميمونه ؟؟ ميمونه واسمها لايگ عليها) . لا .. أبداً . قالها مرة مسعود الفران وأكدها الكثيرون سواه ، غير أنها تعتقد بما يقوله مسعود بعينيه إذ لم يتجرأ أن يحدثها حديثا خاصا ، لأنه خبير

بالدفء والجمال ولعل معايشته لـ (صمونة) الدافئة وأخواتها .. ولمن يراجعن فرنه من النساء وبأعمار مختلفة تعطيه الخبرة بالجمال في كل شيء وبصفاته ولذته عند النساء خاصة . وبالرغم من كل زبائن فرنه من النساء ما أغرته منهن على كثرتهن سوى الحاجة ميمونة التي يقارنها أحيانا بالصمونة الحارة المنتفخة التي ناولها إياها ذلك الصباح مشاكساً بالضغط على يدها طلباً للبركة كما يقول ظاهراً وتخزينا لصور يعيش معها آخر الليل حين ينفرد بوسادته بعيداً عن زوجته التي ما كانت كما يتمنى .

كم مرة ضاجعت زوجتي وسواها طلباً لصورة ميمونة فلا أجد اللذة التي أشتهي رغم رسوخ صورتها بذهني وتخيلي إياها مع ضجيعتي ، وكم مرة عصرت (صمونة) بين أناملي وأنا أحسب إني أضغط على زند الحاجة أو ساقها الذي لم أره قط ؟! أظن أن من صنّع الحلويات الاسطوانية وملأها بالقشطة وسماها (زنود الست) ما كان يعني سوى زنود الحاجة ميمونة ، قد يكون رآها فاستعار جمال زنديها لحلوياته التي غدت من أحب الحلويات لي . حاولت تصنيعها في أفراني لمرات غير أن الفشل كان حليفي دائماً . لم أستطع تجسيد زنود الحاجة بها فألغيتها من قاموس الفرن ومفرداته . لو تتزوجيني على تقدم سنك يا حاجة لكنت أسعد الناس طراً . يقولون أن الزواج بكبيرات السن يقصّر العمر . فليكن . أنا راض . بضع ليال في أحضان الحاجة تعادل ما فات من

عمري وما يجيء . لو تقبل بي زوجاً لرضيت من عمري بليال وليكن بعدها الموت والقبر أو ... الطوفان .

ابتعدت الحاجة ميمونة عن شباك الفرن بقامتها المنتصبة وشالها الارجواني يصيح بمن خلفها ان هلموا اليّ والحقوا بي فلن تروا أحلى من صاحبتي .. وتسمر مسعود الفران في شباكه ملاحقا خطواتها مترنما بـ:

تمشي خبب والمستحه يلوج بعيونه
گلبي لها يا خلگ والروح مضمونه
لو تغفه مره بحلم باحضاني ميمونه
لازرع دروبه ورد وأغني موليه
ويا عين صبي دمع يا عين يوميه
لغيري صفت طلبتي وآنا السهر ليّه

احتشم يا مسعود ... احتشم . أين أنت منها وهي الحاجّة الوقور الحيية وعينك لم تطل سوى كفها ووجهها النظر الذي يحاكي القمر ابن (اربع طعش)؟؟

عينا الريم التي تشغل نصف وجهها .. حاجباها المقوسان المخطوطان بقلم فنان متمرس .. شعرات رمشها المتناسقات واحدة جنب الثانية بنسق منتظم ولا نسق العسكر المنضبط في ساحة العرض الصباحي .. خداها المتوردان .. أنفها البلوطة وشفتاها الخمريتان اللتان تنضحان شهداً... آآآه منهما كم مصصتهما في خلواتي بطيفها ونفسي !! وتلمّض ومص شفتيه وقال: عساها من أهل الجنة وعساني وياها دا أشوف أكو حورية أحلى

منها ؟! . أما ميمونة فكانت تسير باتجاه بيتها منتصبة القامة منصتة لحديث تتخيله كانت صمونة تبوح به اليها عبر حرارتها المنبعثة من كيس ضمها وأخوات أخريات لها وهي تقول – كما تخمن – انها شبيهة بها . براحتيها .. لذلك لن تسلم نفسها إلا لمن يستحقها . ابتسمت ميمونة وقالت محدثة صمونة : سأهديك ضمن وجبة طعام لجارنا النازح من مدينته عساك بما تمتلكين من حرارة تشعلي ناراً بدأت تخبو فيه مذ حلّ في شقة صغيرة نأت به عن مخيمات النزوح ومعاناته فيها . صمونة لا ترضى لنفسها مصيراً كهذا . إنها لا تحب المستكينين وجارك يا حاجة استكان لسكنه ونسي أو تناسى معاناة له كانت وما زالت لدى سواه في المخيمات . اذهبي بصمونة لمخيمات النازحين أو عودي بها لمسعود الفران أو القي بها في متاهة لا ترى فيها أحداً ولا تدفعي بها لمن استقر واستوطن ونسي .. لأنها تظن بنفسها على المستكينين والمستسلمين حتى لو كانوا من أبناء رحمها وجلدتها .

ابتسمت الحاجة ميمونة وقالت بصوت مسموع وكأنها تحدث صاحبة لها ماثلة أمامها .. لك ما تريدين .. لك ما تريدين .

٢

لا عيب في الحاجة ميمونة إلا إعجابها الشديد بنفسها حتى تبدو أحيانا وكأنها جافة متعجرفة وهي ليست كذلك ، وهي أنيقة في ملبسها رغم محدودية اختياراتها في ما ترتديه إذ أن ملابسها لا تتعدى العباءة السوداء الموشاة عند كتفيها بخيوط ذهبية تمتد في بعض عباءاتها الى الذيل وقد تستدير نحو الخصر بحزام يبدو للرائي وكأنه مستقل عن العباءة وليس من ضمن قماشها ، وقد تبدل عباءتها بقفطان طويل أو معطف في أيام الشتاء يصل لكعبيها تتخير له ألوانا هادئة لكنها جذابة .

مغرية ميمونة . لم تغير السنون الخمسون من جمالها ولم تقدر على تشويه بشرتها بتجاعيد تعاني منها اليوم بنات الثلاثين ، ويعزى ذلك لاقتصارها في استخدام مستحضرات زينتها على المواد الطبيعية وعلى الماء والصابون الحلبي بشكل خاص فهي لا تقرب علب المكياج التي تفيض بها محلات الزينة وحوانيتها أبدا وإنما يلعب (الديرم) و (اعواد القرنفل) و (الحنة) وسواها من

مستحضرات الأعشاب والنباتات الطبيعية دوراً رئيسيا في زينتها فهي غالباً ما تصنّعها بنفسها حتى تولدت لها خبرة في تصنيع وتحضير مواد التجميل والمكياج الطبيعي الذي تبخل به على سواها إلا نادراً وللعزيزات العزيزات من صويحباتها فحسب وبتقتير شديد يتعارض مع طيبتها وما عرفت به من كرم في جوانب الحياة الأخرى .

أما إذا ارتأت تزيين جسدها بالحلي وهي تمتلك الكثير والثمين منها التي لا تظهر به لأنها تفضل الأكسسوارات الرخيصة الثمن والحلي الكاذبة المتوفرة عند أصحاب (البسطيات) وبعض الدكاكين الصغيرة التي يحار المرء في كيفية اهتداء الحاجة ميمونة لها رغم وجود معظمها في أزقة لمناطق شعبية غير مطروقة إلا من ساكنيها ، والحاجة على ما تتحلى به من طيبة نفس وانفتاح يراه البعض غير لائق بها لا تتحدث مع العامّة إلا بالنزر القليل أو (بالمثاقيل) كما يحلو للبعض أن يقول ، كما انها لا تختلط بمن هب ودب رغم ادعاء البعض أنها ترتبط بعلاقة لا تليق بها مع صبي المقهى الذي يقع على الطريق بين بيتها والسوق ، وهي مظلومة في هذا أيضا لأنها تنظر لصبي المقهى بعين العطف وتستعين به احيانا على قضاء بعض الحاجات التي يتعذر عليها الوصول اليها مقابل (بخشيش) واكراميات تعطيه إياها كاستحصاله لإيجارات بعض العقارات التي ورثتها عن زوجها وهي ليست بالكثيرة إضافة لشقة قديمة ومحلين تحتها تقع في منطقة

تحوم حولها الشبهات ورثتهما عن أبيها حين كانت تلك المنطقة في سالف الأيام من مراكز المدينة المحترمة قبل أن يغادرها أهلها الأصليون وتغدو (مللوما) لمن هب ودب من الغرباء وذوي الحالة المعيشية المتدنية التي أفرزت أجواء غريبة عليها ساعدت على نمو الفاحشة بين سكانها الجدد كانت تحول بين الوصول اليها مما دعا الحاجة ميمونة الى الاستعانة بصبي المقهى في تحصيل مردودها المادي على قلته ، ومن صفات الحاجة ميمونة التي يعيبها عليها بعضهم انها تترك دائما خصلة نافرة من شعر رأسها بارزة خارج الشال الذي لا يستقر على رأسها ليوم بكامله إلا وتستبدله بآخر وكأنها وكيل عام لاستيراد الشالات و (بس الله يعرف شگد عدها شالات) قال أحدهم معلقاً على شال مزخرف ومخرم رآه أهل السوق على رأسها للمرة الأولى ، وحين سألتها إحداهن عنه ومن أين اقتنته وكن واقفات أمام شباك فرن الصمون الذي امتلكت قلب صاحبه مسعود قالت :

(يبوووه ... شگد قديم .. هذا مو جديد يمّه .. هذا عندي من دور الجهل) . وما زالت ترتديه ويحسدها البعض عليه .

ضحكت (صمونة) كثيراً حينها وهي تصغي لحديثهن وقالت لنفسها (هنيالك حجيه .. روحك خضره) في حين قال مسعود الفران وقد استرق السمع اليهن معقباً بشكل فضولي (كل اللي عند الحجيه جديد، حتى العتيگ.. البركه بالعتيگ. الحجيه نفسها كاشان عتيگ وكلما يعتگ يحلو اكثر) .

خزرته صاحبتها شزراً ووبخته هي بإشارة لها الف معنى قائلة (يابه يابه .. آآخ منك شگد فضولي . مثل الحمص بكل شي ينبص) فعقّب عليها (من حبك لاشاك حجيه . إحنه نحبج ونشاقيج . إنت غاليه وعزيزه علينه) فأجابته (شوف شغلك وما عليك بحچي النسوان) .

والحاجة محبوبة عند الجميع ومن الجميع، ورغم انتقاد بعضهم للكثير من حركاتها إلا انها نظيفة السيرة والسلوك ولا أحد يستطيع الجهر بالصاق تهمة بها غير أنهم جميعا لا يعرفون أن قلبها على كبر سنها لم يشغله بعد زوجها الذي عانى لسنتين مرضا عضالاً أمات رجولته قبل أن يتوفاه الله اليه لثلاث سنين مرت لم تبدّل خلالها الحاجة من سلوكها وطريقة معيشتها أبدا لو لم تلتق ذات يوم وبعد سنين على ترملها بطالب جامعي استأجر الشقة القديمة التي ورثتها عن أبيها بعد أن أوصله اليها إعلان قرأه على جدار بناية قديمة أرشده اليه أحد معارفها ، وكان الفتى هادئ الطبع بسيط الملبس معتدل القوام تبدو عليه سيما النباهة والحزم ، وثبت لها ذلك حين أرهقها بمساومته إياها على بدل إيجار الشقة الذي ما كان في حقيقة الأمر ثقيلاً كما تراه هي ويراه معظم زملائه أيضا لكنه في رأيه وطبقا لحساباته يشكل عبئا على مصروفه وهو فوق إمكانيته على الدفع ، وقد تجاوبت معه مذ قرأت في هدوئه وملامح وجهه الاسمر ونظرته الثاقبة النباهة ومذ اكتشفت فيه محاوراً ذكيا

ولطيفا يخلط الجد بالهزل وان كان لحوحاً ، كما أن لبساطة ملابسه التي يرتديها والتي كانت بمجملها دون ثمن واحد من شالاتها بتقديرها ما جعلها تتعاطف معه وتميل إليه وتمنحه مفتاح الشقة اليتيم وبالسعر الذي أراد في حين رفضت قبله العديدين ممن دفع لها ضعف ما دفع الفتى (عماد) مبررة ذلك بأن (الله هداها عليه) وقد يكون للشيطان دور في هذه الصفقة التي تمت على رضى منها وهي الخاسرة في حساب المادة الرابحة رضى الله كما تقول .. وأسرار الحاجة ميمونة عميقة بعمق وجعها وكثافة شبقها الذي يعصف بها أواخر الليل وهي تنفرد بوسادتها حسب على سريرها العريض الذي يلح عليها باضافة جسد آخر معها يملؤه ويسد الفراغ الذي تركه زوجها ، لذلك تهرب منه في كثير من الأيام وفي اوقات القيلولة الصيفية خاصة الى (جودلية) خفيفة لا تحول بين الأرض وجسدها المكتنز فهي من الأرض وللأرض تعود كانت تقول دائما حين تفاجئوها بعض صويحباتها ممدة عليها تاركة غرفتها الفارهة المبرّدة وسريرها المنمق الجميل إلا من فراشها مناديا من يشغله وما من مجيب .

والحاجة ميمونة بنت خير . ولدت لأسرة موسرة في محافظة تحمل كل مزايا الجمال فورثت منه الكثير، وتدرجت وسنيها العشرة الأولى فيها فرسخت صورها في ذاكرتها وظلت تحلم بأيامها الأولى فيها ، وما أن عبرت العاشرة حتى انتقلت بمعية عائلتها للعاصمة بعد ان أسند لوالدها مركز مهم في الدولة

فأقامت في مركز المدينة ببيت متسع اقتناه والدها واختار له موقعا مطلاً على النهر فتشربت منه ماء الحياة حتى إذا قاربت العشرين من العمر تزوجت بالرجل الذي أحبها وكان من أثرياء ووجهاء البلد فانتقل بها من بيت أبيها لبيت آخر لا يقل عن سابقه أُبهة وجمالا وإن كان في حي جديد من أحياء العاصمة التي اتسعت وامتدت أفقيا فصار لها بعد البيت الذي نشأت فيه بيت فاره بحديقة غناء خاصا بها معية رجل سقاها الحب حتى الثمالة وما رد لها طلبا ولا حرمها من شيء سوى الذرية التي لم يردها الله لها لحكمة عنده اذ لم ترزق منه بولد تشغل به نفسها بعد مرض مفاجيء ألم به وعانى منه سنينا قبل أن يتوفاه الله تاركا في نفسها غصة وشرخا لا يندمل إلا انه زرع في قلبها حبا لم تستطع تجاوزه الى سواه لذلك ظلت عزباء رغم تعدد الخاطبين لها بعد مرور اقل من عام على وفاته . غير أنها رفضت كل من تقدم لها وانصرفت للاهتمام بنفسها وزينتها وحبها لزوج زرع فيها الكثير من المزايا الحميدة فوق ما تحمله هي وما تعلمته في بيت ابيها من صدق ورقة واعتداد بالنفس . ولأنها كانت من العوائل المحترمة ومن أوائل من سكن الحي الجديد فقد غدت وكأنها من أهله الأصليين المولودين فيه بحسابات الجميع ولها الكلمة المسموعة والرأي المقبول من قبل أهل الحي صغارا وكبارا ، ولأنها كذلك أحبها الحي بمن فيه وحرص أهله على ان لا ترى منهم بعد غياب زوجها إلا ما يسر ويريح الخاطر . ولأنهم كانوا معها كذلك بادلتهم

الحب بالحب وحرصت على تفقد مرضاهم وإعانة المعوزين منهم فتصرفت داخل المحلة التي تسكنها من الحي وبرضى من سكانها وكأنها المختارة فيه لذلك ما كانت تتأخر عن واجب من الواجبات التي تربت عليها وهذا بعض مما دفعها لإعداد وجبة غذائية لعائلة نازحة سكنت في شقة قريبة من بيتها .

قالت الحاجة لـ (صمونة) التي وعدتها أن لا تجعلها ضمن مائدة النازح الذي سكن جوارها لأنها – كما فهمت الحاجة – لا تريد ان تكون على مائدة نازح خانع تعجز عن إشعال النار في جماد كجماده مذ ركن الى الدعة بعد أن وجد سقفا يظله خارج مخيم النازحين ، إنها لن تفي لها بما وعدتها لأنها ترى أنها ستؤكل منه أو من سواه ، ولم تكترث صمونة كثيرا بما همست به الحاجة ميمونة وحدثت نفسها به . إن ذلك لا يهمها ولن تعيره أهمية لأن روحها ستحل في أخت لها ما تزال في ماكنة عجين مسعود الفران إذ انها حدست بمصيرها مذ خرجت من الفرن الذي تيقنت انها لن تعود اليه سليمة أبدا .

الحاجة لا تدري بأن صمونة نهجت طريق النسخ والحلول لذلك لن تموت حتى لو أكلت الف مرة فروحها باقية ومتنقلة من واحدة لأخرى وحتى قيام الساعة لذلك ركنت الى السكينة وهي تحمل مع مواد المائدة العامرة التي جهزتها الحاجة ميمونة لجارها وسلمته إياها على باب شقته حين وقفت على عتبتها مع ابنتيه اللتين استقبلتا الحاجة شاكرتين جودها وطيبة نفسها في حين

غاب هو بخيال لا حد يحدّه مأخوذا بالجسد البض للمرأة الخمسينية التي أشعلت فيه رغبة جامحة للمضاجعة انطفأت فيه منذ شهور ، ولو لم تقف الحاجة الزائرة أمامه الساعة ما كان ليتذكر انه ما زال رجلا .

غادرت ميمونة باب شقة جارها قائلة لابنتيه : هذه وأوانيها لكم . لا تعيدوا شيئا منها وإن احتجتم لأوان وأفرشة أو سواها من لوازم البيت فلتدق الباب إحداكن عليّ وأنا برسم الخدمة . وحين دخلت دارها مجتازة حديقتها المنمقة بالورد الجوري وشجيرات الآس الممتدة مع امتداد الممر الموصل الى المدخل الرئيسي للبيت تمنت لو كان عماد هذه الساعة بانتظارها داخله فعماد عزيز على قلبها بل غدا هاجسها العذب المعذب . لقد أحبته ومالت اليه رغم أنه بعمر ولدها لو كان لها ولد لذلك (دارته) كثيراً مذ حلّ بشقتها ساكنا بالايجار الزهيد الذي اقترحه هو والذي تنازلت عنه لشهرين على أن يجري بعض الترميم للشقة وإن كانت واثقة انه لن يقوم بذلك موحية له من طرف خفي التقطه عماد سريعا بأن الموضوع ليس بذي أهمية كبيرة لكنها أرادت إعانته دون أن تخدش كبرياءه بتكليفه بأمور بسيطة في الشقة سمتها ترميما وإن لم تكن لتكلفه في حقيقة الأمر ربع ما تنازلت عنه من بدل الايجار ، وإن استعانت به بعد ان التقته لأكثر من مرة عن موعد مسبق لتزيين حديقة منزلها في يوم

عطلته إن استطاع ذلك واستجاب لها وكان مجدا وذواقا في تنظيم حديقة بيتها وتنسيقها واختيار الأزهار لها .

تذكرته الساعة وتمنت لو كان موجودا فقد أحيت نظرات جارها النازح الشهوانية اتجاهها جذوة نار كادت أن تخمد وتموت وشهوة نائمة لعن الله موقظها .

تأفف النازح اكثر من مرة وهو وزوجته وابنتاه وطفلان آخران لهما يحيطون بالمائدة العامرة التي جادت بها جارتهم الحاجة ميمونة ، وكان على غير طبيعته الهادئة المستكينة . إن قلقه الآن أثار انتباه كل افراد عائلته ، وحين سألته زوجته عمّا المَّ به وهل سمع شيئا عكّر مزاجه ؟ قال انه تذكر كيف كان في مدينته وبين محبيه وكيف هو الآن يتلقى (الصدقات) من الآخرين ، وكان كاذبا فيما ادّعى إذ أن المائدة التي أمامه ليست بالصدقة وهو يعرف أنها ليست من الصدقات في شيء، وما هي إلا اخت لما كانوا هم يفعلوه لمن يحل في محلتهم من الغرباء وليس في هذا ضير ولا عيب فـ (عليش أنت مستنكف ومن إيش ؟؟ . إحنه ما طلبنه شيء ، والحجيه جزاها الله خير سوّت اللي تحس بي واجب حالها حال غيرها ، أشو ما ضجت من وجبات وهدايا اجتنه قبل هالمرّه ؟؟) – قالت زوجته رضيه – فأجاب (بس مو من أرمله) . ضحكت صمونه محدثة نفسها (يا كذاب .. انت ضايج ودايخ بالسلة ،.. بس إگطع نفسك .. السله ما تگدر تنولها لأن ما واحد وصلها گبلك) .. وقبل ان تكمل ما حدثت به نفسها التقطتها يد أحد الطفلين وبدأ

بقضمها فواصلت وهي تلفظ انفاسها الاخيرة (الحمد لله .. بحلگ الطفل ولا بحلگك يا بذات ، شوف حالك ولا تدحگ فوگ تراك تعمى لو توگع وتتكسر) .. ثم مات جسد صمونة بين فكي الطفل بعد ان حلّت روحها في ماكنة عجين مسعود الفران .

٣

ما احتاج عماد لكثير من الجهد أو الوقت ليكتشف اهتمام الحاجة ميمونة به ، بل انه لاحظ ذلك وان لم يتيقن حينها منه منذ لقائه الأول بها حين ساومها على إيجار الشقة التي أعطته إياها (بسعر المي) كما يقولون ، غير أنه لم يكن متهوراً او ناكراً للجميل ليجازف بما يسيء لمقامه وشخصيته المحسود عليها والتي تكبره كثيراً مع أن مراهقته بالقياس الزمني لم تغادره بعد ، بل ما زال يرزح تحت وطأة أيامها الأخيرة ويقف بوجهها برجولة تميزه عن أقرانه وإن لم يكن ناضجاً للحد الذي يصمد به أمام إغراء يراوده بالنظرات وشطحات اللسان أحيانا من إمرأة مقتدرة وحلوة وناضجة تعد صاحبة تجربة تهئ له كل مستلزمات الراحة والنشوة والمتعة لو عبر حدود الحياء الذي يتمسك به وعليه تربّى ويحول بينه وبين موبقة قد يندم عليها لو خطا باتجاهها ، كما أنه ليس من النوع الذي يلعب على ضعف الآخرين أو يتنكر لجميل يقدم له بالإساءة لصاحبه من أجل نزوة عابرة يقدر على

تعويضها بالكثيرات في عالم يعج بالفوضى والابتذال في كل شيء وبكل مرافق الحياة لو أراد ، وإن عجز عن ذلك وهو غير عاجز إذ الأبواب العديدة مشرعة أمامه للولوج الى عالم الخطايا فبإمكانه الإتكاء على عادة (الإستمناء) التي زاولها صبيا مع استحضار صور من يهوى دون فضح نفسه والانجراف في أجواء عالم لا يرحم لذلك التزم الإنضباط الكامل في كل كلمة يتفوه بها أمام الحاجّة ميمونة .

وعماد رجل عصامي نشأ في أجواء نقية داخل مجتمع تغلفه العازة ويشكو من البطالة بصورتها الحقيقية والمقنعة مذ تعطلت مصانع بلده ومؤسساته عن العمل والإنتاج وأغلقت المعامل وتركزت المادة في جيوب النفعيين والدخلاء ممن وفد الى البلد مع المد الأمريكي الذي أوقع بلده تحت احتلال انعدمت على أثره الطبقة المتوسطة وانقسم المجتمع لطبقتين ثرية متخمة نهبت كل ثروات البلد وفقيرة معدمة . أما هو فكان الولد الأكبر لأب محال الى المعاش قبل أوان التقاعد كونه من رجال الجيش السابق ولا يتقاضى من الراتب ما يفي سد احتياجات عائلة مكونة من خمسة اشقاء وشقيقات عدا ابويه . ولولا حرص والدته وقدرتها على تدبير أمور المنزل لتهاوت العائلة بمجملها الى حضيض الفاقة حالها حال الكثير من العوائل التي لم يمن الله عليها بربة بيت مدبرة كأمه ، ومع هذا لم يتكئ عماد على أعذار ندرة فرص العمل بل كان يخلق من اللاشيء أشياء حتى أنه قال

يوما لوالده الذي نصحه بالكف عن عمل زاوله كان مردوده المادي غير مجز ودون ما يبذله من جهد أرهقه بأنه سيحفر الصخر بأظفاره إن اضطر ويستخرج منه ما يعين به أباه ويوازن ميزانية بيتهم ولهذا وسواه مما يلزم به عماد نفسه من التزامات أخلاقية وشعور بالمسؤولية كان محبوبا ومقبولا لا من أهل بيته وحسب بل حتى من أبناء بلدته الذين يحتفظون له بمواقف وحالات أثبت فيها مروئته وعلو همته ، وهو فوق هذا مثقف ومتحدث مقتدر وأديب وإن لم يصدر له مطبوعا يكشف به عن تلك الثقافة وذلك الأدب ، ولعل سوء الوضع الأقتصادي الذي يعاني منه وملاحقته لطلب الرزق كان شاغله عن سواه من الإهتمامات ، وهو عاطفي محب للجميع مجد في عمله للحد الذي صار فيه مثار إعجاب عند أهل بلدته الذين كانوا يتخذون منه مثالا في استفزاز أبنائهم وحثهم على العمل والاجتهاد مرددين دائما عبارة (يا ريت تصيرون مثل عماد) ، عماد الذي لا يأنف من عمل يدر عليه رزقا حلالا أياً كان نوعه ما دام لا يمس كرامته او خلقه وما ربى نفسه عليه من مبادئ فهو عامل بناء حينا ومزارعا في حين آخر استصلح خرابة مهجورة في محلته وأحالها الى مزرعة بسيطة سد بناتجها من الخضر والمحاصيل الموسمية بيت أهله بل فاض بخيرها على جيرانه وأفاد واستفاد منها في البيع والشراء . وتراه في مواسم محددة (طالوع نخل) مقابل أثمان لا تثقل كاهل أصحابها وتعينه على تدبير مصاريفه فهو يشتغل بتلقيح النخيل

وجني أثماره حين نضوجه مستحصلا منه لعائلته ما يسد حاجة بيتهم من التمر ويزيد . لكل ذلك رفض والده تخليه عن دراسته الجامعية حين انتهى اليها متفوقا رغم ضيق ذات يده مقسما (والله لو ابيع البيت وابيع هدومي الا اخليه يكمّل دراسة) مبرأً بقسمه مرسلا إياه الى العاصمة متيقنا ان ولده النبه سيحصل على نتائج مشرفة وأنه سيسدد مصاريف دراسته من عمله في العطل الموسمية التي تلي الفصول الدراسية . وحين وطأ عماد أرض العاصمة التي لم يمر بها من قبل إلا نادرا اجتهد في أن يجد له سكنا رخيصا لا يثقل به كاهل أبيه حتى إذا ما قرأ إعلانا على جدار الشقة العائدة للحاجة ميمونة صدفة بمعية أحد معارفها اتصل بها وتواصل معها وحصل عليها بالثمن الذي أراد . ولأن عماد كان ذكيا وحذرا فقد استطاع باسلوبه جذب ميمونة اليه لتتقرب منه أكثر وتراوده عن نفسه بإيماءات تجاهلها وتظاهر بعدم فهمها كي لا يثير شك أحد أو يبدو رخيصاً أمامها وليدعها تحس بفشلها في إيصال ما تبغيه من رسائل مشفرة دافعا إياها الى التصريح الذي كانت تخافه على نفسها إذ لم تكن هي الأخرى قد ملأت يديها منه بل وأحست أنه يلعب معها لعبة (اللا طاير ولا حاط) كي يدفع بها لأن تكون أكثر وضوحا لو أرادت أن يفهم فعلا ما تبغيه وتطلبه منه .

قال لها مرة أن بين الرجل والمرأة حبل من قنّب متين لا يقطعه إلا التصريح بأمر من طرف لم يحسب ردة فعل الطرف

الثاني جيدا ، وأن ما يقال عن شعرة معاوية غير موجود في عوالم الحب والعلاقات الثنائية بين العاشق والمعشوق كأمكانية وجوده في السياسة والعلاقات السطحية او ما كان منها مبنيا على تبادل المصالح المادية الزائلة ، فأجابت إياه بأن ما بين الأم والأبن أو الحفيد من الصراحة في العلاقات منطقا وتطبيقا ما يتفوق على حبلك القنبي يا عماد ، وإياك ان تظن بأني بنصف عقل او مسيّرة بعواطف غير منضبطة فأنا أذكى منك وبأكثر مما تتصور – وهي ضاحكة – يا ولدي . فجاراها عماد في ضحكتها باتزان ولم يرد عليها بسوى لفظة (كش ملك) مما دعاها للتعقيب عليه بأن لا عيب في ملك يغيّر موقعه بخطوة للامام أو الخلف ما دام واثقا من تسديد رميته وإتقان خطابه حتى لو تعرض لأكثر من (كش) لا واحد يتيم .. وضحكا معا بعد أن أردفت كلماتها تلك بـ (شوف عمودي .. إذا أنت جني .. آني جديتك) . وهذا يعني أنني امتلك أضعاف ما تظن أنك تحوز من شيطنة وتلاعب في الألفاظ والمفردات .

لم ينم عماد ليلته تلك التي أعقبت هذا اللقاء وما دار فيه تلميحاً من طرف يتأهب لدخول باب المغادرة وآخر يضع أقدامه على عتبات أبواب الدخول الأولى ، وحين التقى بصديق قريب صباح اليوم الذي تلاه قرأ صديقه في عينيه أرقا وتعبا ترك خطوطا غير منتظمة على جبهته وبين عينيه فنصحه بأن على من يقدم على قرار صعب أن يكون حازما وأن يدخل الصالات من

أبوابها ، وإياك يا عماد إياك أن تتسلق الأسيجة فقد يمسك بك عمود ناتئ فيها فيدمي جسدك او يمزق ثيابك وفي هذا ما فيه من تساؤلات يثيرها من يشخّصها فيك فتكون إجاباتك مربكة لا تخدمك بل قد تدينك أكثر مما تحط من إتهام يحوم حولك يا صاحبي فاصغ اليّ ولو ان من يده في النار ليس كمن يده في الماء . قال له صاحبه ذلك حين أفضى عماد له بما كان يفكر فيه وما يفكر فيه عماد كان متاهة ما بين التردد والإقدام .

ظل عماد مطرقا نهب أفكار تتجاذبه عندما ضحكت صمونة شقّت من وسطها وملأت بحبات الفلافل وقطع من الطماطم وقطرات من (العنبة) التي تتساقط منها فتبدو كدموع تسيل على وجه باك بيد طالب مر قربهما مرددة (فلفل .. فلفل .. فلفل وبهار) ، و (بين درب يصده ودرب يرده) عاد عماد لأيام لم تكن بالبعيدة وإن لم تكن قريبة حين استعانت به امرأة في بلدته غاب عنها زوجها لأسابيع طالبة منه إعانتها على تغيير أثاث منزلها وما كان دخوله بيتها ليثير الشك في أي ممن يراه أو أن يريبه هو نفسه لو لم تحشره في زاوية من الغرفة وقد القت بغطاء رأسها على كتفيها وفكت أزرار ثوبها عند الصدر ليندلق أمام عينيه نهر من الشهوات ينساب بين نهديها عند انحنائها أمامه متشبثة بجانب لسرير كان يبغي تحريكه عن مكانه نزولا عند طلبها وما رافق تلك الإنحناءة من انفاس ملتهبة نفثتها في وجهه مع آآآآه طويلة ندية مؤطرة بعبق من الخدر اللذيذ الذي ما

أفاق منه إلا وهو كالعصفور بين ساعديها يتمرغان معاً على سرير من الشبق المكبوت ذاق خلالها وللمرة الأولى شهد المرأة وزعافها وتعرف على كيدها وقدرتها على الوصول الى ما تبغيه حين تريد دون أن تدع دليلا ضدها او شكا يحوم حول سلوكها .

تلك تجربته الأولى التي دفع لها وتعلّم من خلالها ان للفضيلة أبوابا وأبوابا لا يدخل بعضها إلا من يجيد تلبية رغبات امرأة يعضها الجوع وتربأ بنفسها أن تسقط في أوحال الرذيلة فتضطر للاستعانة بمن هم أهل لحفظ اللسان وحمل أمانة مضطرة استأمنته على سرها تحت ظروف قاهرة خارجة عن الإرادة كحال صاحبته التي اختارته دون سواه وأبى على نفسه أن يسميها يوما او يذكرها بغير الخير رغم تمنعها عليه بعد تلك التجربة اليتيمة التي ما أعطته بعدها ريقا حلوا ولا ذاق ريقها عدا زوجها سواه وقد ثبت ذلك لديه بعد مراقبة حثيثة ودقيقة لها منه لأيام وأسابيع وأشهر عديدة كانت خلالها تعيش غياب زوجها وحضوره وهي كما هي عند الجميع مثال العفة إلا عنده ، وقد حاول تكرار التجربة معها ثانية فما وجد سبيلا للوصول إليها إذ كانت تصده دائما مذكّرة إياه بضعفها وقوته راجية منه الستر وهي تؤمله بستر الله عليه يوم القيامة فما كان إلا أن عاهدها على الكتمان بقدر حفاظها على سمعة بيتها وسيكون في حل من عهده لو تورطت ثانية كورطتها الأولى معه فطمأنته وصدقت وصدق وظل في كل لقاء لهما ترتبه الصدف يتعامل معها باحترام

كبير غير أن طعم تلك العثرة التي أحدثتها معه يحيي فيه مذاقا للجمال واللذة التي ما عاودته مع سواها رغم تعدد تجاربه فيما بعد وإن كان يحس الآن بأن ذات اللذة تترقبه وسيجدها في أحضان الحاجة ميمونة لو استطاع تجاوز وساوسه والذهاب معها بذات الطريق الذي يسلكه الأثنان بتواز يتمنى كلاهما لو ينحرف أحدهما باتجاه الثاني ليتلاقيا وهو واثق أن أحدهما سينحرف باتجاه صاحبه حتما ، لكن من سيبدأ ... ومتى ؟؟؟

المجهول ما زال يخيم على أجوائه وطريقه مليء بالمطبات ، واللذة التي يحلم بها يرى أنها قاب قوسين منه وأدنى ، وإن كان يمتعض موجوعا من همزات ولمزات يصوبها باتجاهه صاحبه المقرب اليه وهو يوبخه ذات يوم قائلا : إن عليك حسم الأمر وركوب المركب الذي ينتظرك على شواطيء المتعة الموشاة ببنفسج (الأيجة) المزجاة رغبة ولهفة صائم لا يحول بينه وبين إفطاره إلا قذيفة مدفع وآذان سينطلق حتما مهما طال النهار وتأخرت شمسه عن الغروب .

ودع عماد صاحبه متجها الى شقته يجر خطاه ببطءٍ من يتمنى أن لا يصل غير أنه فوجئ ودون تخطيط مسبق على بعد أمتار من شقته بهاتف داخلي يذكّره بخواء معدته فانحرف باتجاه مطعم شعبي صغير لتناول وجبة بسيطة مما يقتات عليه الفقراء ومن خوت جيوبهم إلا من دراهم معدودات فدخله لتضحك (صمونة) حلت فيها روح أختها منه وهو يمد يمناه

لتناولها فترتد ، وإحساس داخله يقول له إن هذه الصمونة تقول لك أنني لا أغذيك إلا لتغذي سواك فتأمل جيدا ما أقول واعلم أن الحاجة ميمونة بانتظارك فكن لها الغذاء الذي يبعث في يباسها الروح.. وفجأة وبصوت مسموع قال : نعم .. سأكون .. سأكون... ثم ترك المائدة وغادر المطعم بعد ان دفع ثمن وجبة بسيطة لم يتم تناولها ...

٤

ما اهتم يوماً بالآخرين ، كل همه كان ينصب على جمع الثروة وتكديس الأوراق النقدية في خزانته وداخل بيته حتى انه ما كلف نفسه في أن يفتح له حسابا في مصرف حكومي أو أهلي يودع فيه ما يكسب من المال ، وإذا اضطر لإخراج بعض ما لديه منه بعيدا عن البيت لأمر ما فإنه يودعه عند صديق لا يقل عنه حرصا ، لذلك حشا وسادتين بما يملك من أوراق نقدية على طريقة العجائز وما كان عجوزا ، وحين يخلو في بيته لسبب ما كذهاب زوجته لأهلها أو خروج أطفاله لمكان ما يعد ذلك اليوم عيدا او أشبه بالعيد فيسارع الى غلق أبواب ونوافذ منزله جميعها بما في ذلك أبواب المطبخ والصحيات ثم يوقد مصباحا يدويا بالكاد يضيء لضعف بطاريته التي لا يستبدلها إلا بعد خفوتها تماما ثم يفتح إحدى الوسادتين وينثر ما فيها من أوراق نقدية . يصفّها حينا واحدة جنب الأخرى حتى يغطي بها أرضية الغرفة ثم يجمعها ثانية

ويضمها لبعضها معيدا تشكيلها ليبني منها بيوتا أو شوارع وجادّات كما كان يفعل في صغره بمعية أبناء محلته حين ينشؤون مدنا وشوارع وساحات من الحجارة الصغيرة والحصى وقطع الخشب والصفائح والعلب الفارغة ، وأحيانا يصفّها على شاكلة لعبة الدومنيو بعد أن يصنع منها كتلا متراصة صغيرة ثم يسحب واحدة منها لتتداعى الأخريات فيضحك ملء فمه ويقول مخاطبا إياها .. هيهات لك أن تتداعي أمامي واقعاً لأنك كلّي .. يا كل كلي .. يا حبيباتي ومتعتي .. يا نقودي .

يتغزل بها كما يتغزل العاشق بمعشوقته . هذه زرقاء كوردة البنفسج .. وهذه حمراء كالقرنفلة .. أما هذه الخضراء فيا ويلي منها .. تذكرني بشجيرات الآس وأوراقها الناعمة الطرية الجميلة . وقبل أن يحين موعد عودة أي فرد من أفراد أسرته لبيته وهو يعرف متى يحضرون يسارع للملمتها بعد أن يستخرج الورقات المتعبات منها لاستبدالها بأخريات جديدة أو نظيفة على الأقل ، ويأخذ هذا الموضوع الكثير من اهتمامه ووقته ، وحين داهمه مرة أحد صغيريه وهو يعد ما استبدله للمرة الخامسة كاد أن يغمى عليه من الخوف فرشاه بورقة من الفئات الصغيرة ودفع به جانباً .. (روح .. لك روح اشتري بيها نستله وإحمد ربك . أبوك مو مثل جدك اللي چان يشوّفنه نجوم الضحى لو ردنه منّو عشر فلوس) .

ووسادتاه المحشوتان بالنقد سر مجهول لكل أفراد أسرته باستثناء زوجته التي تعلم كل شيء وتتجاهله لأنها لا تقدر على شيء و (تتكفى الشر) ولا تريد زج نفسها وإياه بما لا طائل منه بعد

ان حاولت تغيير بعض طباعه وفشلت . يحيّرها كثيرا تعلقه بهما (الوسادتان) قبل ان تكشف سرهما . أرادت تنظيفهما مرة وقد داهمها وهي تسلخ وجه إحدى وسادتيه فنهرها قائلا (هذي المخدتين مالتي ... ما أحد إلهْ غرض بيهن . وسخه ... نظيفه مو شغلتك . آني أحبها هالشكل . لا تمدين إيدچ عليهن) . فتقلب شفتيها قائلة في داخلها (الله ينطيك العقل) وعلى لسانها وبصوت مسموع ممزوج بالإنفعال (شصار ؟؟ ردت أغسلهن ، خو ما قامت الساعة ؟ مو لازم . مبارك عليك مخاديدك) .

ولـ (عفتان) غير حبه للنقد اهتمام آخر وإن كان دون الأول . إنه مهووس بالحديث عن العقارات ويتمنى لو يشتري كل عقار أو ارض معروضة للبيع غير أن المشكلة التي تواجهه في ذلك تنحصر في وجوب دفع النقد مقابل العقار وهذا ما لا يستطيعه ، بل لا يسمح لنفسه أن يفكر فيه ، وذات يوم استغل احد المقربين منه هوسه بذلك فعرض عليه وهو ممن يخمنون ملكيته بأكثر مما يملكه ويثق به عفتان عرضا مغريا قائلا له :-

- عفتان .. إنت خيرك كثير واللي يجوع ما ياكل فلوس ، ولا اللي ينعس وما جواه فراش يفرش فلوسه وينام عليها . الله يعطي المال لعبادو حتى يترفهون ويسكنون بيوت زينه وياكلون زين ويتونسون . وإنت كل هذي ما عندك ، بس عندك فلوس وخير من الله . ليش يول وآني صاحبك ما تخليني أفيدك ؟؟

- تفيدني بيش - قال عفتان - .. وبعدين منو گلك آني مليونير؟؟

- لك علينه ؟! والله إنت مليونير ونص ، وآني ما حاسدك . الله يزيدك . بس إعرف أولادك راح يكبرون والدنيا مو مال أبو أحد . ما ينراد الهم ورا ما تشتغل روحك بيت يلفون بي مثل بيوت الأوادم ؟ بعدين سيارتك البرشقه هذي لويش ما تبدلها ؟؟ مو السيارات صارت بفلسين ونص ، وحتى الموظفين الزغار هم عدهم سيارات أحسن من سيارتك وأنت خيرك واجد .. اسمعني يول عفتان ..

- أسمعك يابه أسمعك . سولف .. شتريد تگول ؟

- لك أكو خوش بيت . چبير وبي حديقه مرتبه ، وسعره ما يجيب الحجار اللي انبنت بي ، بس صاحبه محتاج وناوي على سفر ويريد يبيعه . ليش ما يهديك الله وتخليني أشتري إلك ؟ وهم لو يتأجر بچم دينار بالشهر يجيبلك وارد من غير تعب وإنت تحب الفلوس وتموت عليهن . عود جمعهن من جديد وخلّي يرشوهن على گبرك . والملك حتى لو گاع بيضه هم فلوسه بي . توكل على الله واشتريه احسن ما يجينه غريب ويطب بمحلتنه . إنت على علّاتك واحد من عدنه ومتحمليك وراضيين بيك . توكل وگول ياالله عفتان .

وكان العرض مغرياً لمن يملك المال فعلا غير ان المال عند من لا يستحقه .. هكذا هي الدنيا سبحان الله ، وعفتان لا يستحقه .. لا

يستحق البيت ولا يستحق المال لذلك لم يرد الله إتمام هذه الصفقة ، ولأن (جلد عفتان ما يحب العافيه) إنقلب على الإتفاق بعد يومين منه إذ صعب عليه إخراج أوراقه النقدية من الوسادة التي سيحرقها القصف المدفعي الذي طال بيته في المناوشات التي أعقبت دخول الارهاب الى مدينته فيما بعد .

عفتان هذا ليس كسواه .. إنه ما زال يرتدي ذات البدلة السوداء المخططة التي اشتراها من سوق (اللنكات) قبل أكثر من عشرين عاما ، وما يزال يعتبرها الأجمل والأكثر اناقة . ويحس بنفسه حين يرتديها في المناسبات انه الأكثر أناقة بين الحاضرين ، أما سيارته (الدوج) السوداء هي الأخرى فحدّث عنها ولا حرج . حال لونها وغدت لقدمها وما مر بها من حوادث طرق مزخرفة بألوان وأشكال مختلفة كما انها ظلت اليتيمة في الشارع لا مثيل لها ولا لون ولا موديل .. كل أخواتها اللواتي جئن معها أو بعدها دفنّ أو تم بيعهن في أسواق السكراب بعد أن تخلت دوائر المرور عنها وأسقطتها من سجلاتها .. إلا هي المتميزة في المدينة كلها بالأصوات الصادرة من محركها المترجرج ، وفي سيرها وصراخ كل أجزائها أثناء سيرها ، بل حتى منبهها الذي يتحشرج صوته فيبدو كأحد الأبواق التي كان يستخدمها تلاميذ المدارس في صغرهم . لم تمر عليها يد (فيترچي) مذ دخلت في حيازة عفتان الذي اقتناها من موظف غريب جاء الى المدينة منفيا لانتماء سياسي مناوئ للسلطة آنذاك وحين عاد لمدينته باعها لعفتان دون سعرها لأنه تعب منها ومن كثرة عطلاتها التي غدت ملهاة لعفتان تعلم فيها ومن خلالها مهنة

ميكانيك السيارات وصار فيها أستاذا (يعني عفتان صار فيترچي أصلي براس هذي السيارة) . أما البيت الذي يسكنه فقد ورثه عن أبيه وظل به ماكثا بعد أن اشترى حصص الورثة الآخرين الذين ما كانوا يشبهونه في شيء وبالتقسيط المريح . كانوا طيبين وذواقين عداه الذي (ما أدري من يا طينة جاي) كما تقول عنه زوجته حين يتمادى في التقتير على نفسه وهو يقف على أعتاب الستين من عمره . شيء واحد فيه تحمده زوجته ولا يعيره الناس اهتماما لكنه مهم لها . (عفتان فحل ... سبع وگدها) تقول عنه وتعني ما تعنيه ويفهم قولها من يفهمه وكما يرغب حين تقول لها إحدى صويحباتها (شنو شايفه بعفتان؟!) ، وغذاء عفتان المفضل التمر والبصل والخضرة مع الخبز الأسمر واللبن إن توفر . هو نباتي بامتياز . لا يعرف اللحوم ولا هي تعرفه إلا في المناسبات، وهو لم يراجع طبيبا عمره إلا في حالات نادرة لا تستحق الذكر غير ان هذا لا يعني ان عائلته على شاكلته . أبدا . رغم حرصه على أن لا يكون مسرفا في الشراء غير أنه والحق يقال لا يبخل في إطعام أفراد أسرته بما يشتهون وهذه تحسب له وإن لم يشاركهم فيما يأكلون أو يمارسون كثيرا . وهو لا يشكو ، ولا يضر أحدا ولا يفيد . يعني (مثل مي المربعانيه) . يتقن المساومة ويساوم على أي شيء يبغي اقتناءه مهما كان تافها او رخيصا لذلك يحاذر كل أفراد عائلته حتى الصغار منهم الخروج معه الى السوق لأنه (يخجلهم) كما تقول زوجته على ألسنتهم . وعفتان عاش مستورا لم يؤذِ أحدا ولم يمد يده لأحد او يستعين بأحد الى ان حلّت به الطامة الكبرى كما يسميها يوم زُج به

في مخيمات النازحين بعد أن دخل الارهابيون لمدينته وفقد فيما فقد قبل خروجه منها وسادتيه الحبيبتين بما فيهما مما أتعبه جمعه وأضناه الا ما قلّ مما استطاع استخلاصه منها بعد أن طالت قذيفة مدفع بيته وأحرقت جانبا منه ومما احترق فيه الوسادتان اللتان أدمتا قلبه وردد مجبرا بقناعات ضعيفة (بالمال ولا بالعيال) ... ثم قاد أسرته المنكوبة المكونة من زوجته وابنتيه والصغيران عبر منفذ عانى خلاله ما عانى قبل أن يحط ركابه ويحل مجاورا للحاجة ميمونة في شقة متواضعة تعد قصرا قياسا الى خيمة من مخيمات النزوح التي مر بها وقضى شهرا وأسابيع ذاق فيها ما ذاق من آلام الذل مضافة لآلام فقدانه لمدينته وبيته ووسادتيه وسيارته الدوج التي كانت له بمقام حبيبة خدمته كثيرا وقطعت برفقته مسافات مرة قبل أن يودعها الوداع الأخير على منافذ المدينة التي دخلها سجينا دون قيود ومتهما دون تهمة وأسيرا لوجع لن يبارحه و(صفنات) نأت به عن واقعه لحين وقفت الحاجة ميمونة أمام باب شقته محملة بقدور من الطعام أوجعته وباح بذلك الوجع رغما عنه ساعة قال وهوعلى المائدة (صدقات رضينه بيها .. بس مو من أرمله) .. وكان يعني ما يقول فعلا وإن امتزج ما قاله بوجبة أخرى أشعلت جسده شهوة وهي تقف أمام الباب بعباءتها المسدلة على جسدها المكتنز وشالها يخبيء شعراً تبوح الخصلة النافرة منه بما له من جمال ونعومة وسحر وكأنها امرأة اربعينية او دون ذلك ولم تتجاوز الخمسين التي ينوء بها سنّها الحقيقي . لقد أنسته وقفة الحاجة ميمونة وطراوة حديثها على قصره ورقتها الظاهرة عليها

همومه الأخرى فصف جسدها الى جانب جسد زوجته الذي تآكله النزوح والهم ومعاناة الحاجة بعد توفرها بين يديها قبل أشهر حين كانت تسكن بيتها على بساطته راضية قانعة بما يقدمه لها عفتان الممتليء رجولة وحيوية وبخلا ايضا لم يؤثر في حبها إياه ، ولعطش الجسد أحكام تنزاح إذا ارتوت لصالح من يرويها ، وعفتان راوٍ جيد لجسد (رضية) التي ما شكت ضماً او جوعا منذ الليلة الأولى لدخول عفتان بها قبل ما يقارب العشرين عاما ذاقت خلالها من الآلام والآمال والعازة والشبع والجوع والحرمان والاكتفاء والقطع والوصل الكثير لكنها لم تشك جوعا جسديا أبدا حتى وهي في أسوأ أوضاعها النفسية وأحسنها على السواء . ورضية لا تعرف نكران الجميل الذي يسديه لها عفتان لليلتين على الأقل في الاسبوع الواحد مهما كانت ظروف أي منهما أو مشاغله لذلك تخافه وتغار عليه وتشكر شحه على نفسه الذي لولاه لتزوج عليها أكثر من واحدة وحرمها متعة تفتقدها الكثيرات من النساء ويشكين في جلساتهن الخاصة بعضهن لبعض من حاجتهن لها إلا هي . وحدها التي تضحك في سرها وتقول ولا تستحي من البوح بذلك امام صديقاتها (الحمد لله .. مرتويه دوم بوجود أبو الجهال).. وعفتان أبو الجهال كريم مفرط العطاء في هذا الجانب من جوانب الحياة دون سواه . وهي أعرف به حتى من نفسه هو إذ راودها مرة وهما في المخيم قبل انتقالهم للشقة التي ضحكت فيها (صمونة) من عفتان حين قالت أمام مائدة الحاجة ميمونة (إنت مو زعلان على الصدقة ولا على الغدا..

إنت زعلان على السلة اللي شالت الغدا بس اگطع نفسك ، ما تگدر توصلها لولا توذن . گطنه وشيلهه من إذنك) وقد قالت له رضية حينها (يا ربت يا عفتان .. بس اللي تريده ما يصح . شوفنه احنه بيا حال؟!) وقد لعب هذا التأنيب الموجوع من رضية له حينها لعبته معه فعض على إصبعه وأخذ على نفسه عهدا ان لا يمر بهذا الموضوع ثانية قبل ان يستقر و(يشوف محط رجليه وين تصير) .

كيف صبر عفتان كل هذه الأشهر الطويلة التي قاربت النصف عام منذ غادر بيته ؟؟ ولماذا انطوى على نفسه ودب فيه الهزال ؟ وعلام غاب عن عالم (ليالي الجمعة) واحتفالاتها وأدمن ذلك؟! اسئلة حيّرت رضية وإن كانت تجد لها أحيانا ما يبررها فتقول (حقو .. إحنه بيا سخام حتى يگدر يفكر بهيك شي . الدنيه حيل لحّت ويانه وظلّمت علينه) . بل انها احتكت به وعرضت عليه نفسها بعد سكنهم الشقة فما انصرف اليها ولا أعطاها (ريقا حلوا) بل فاجأها بقوله (طولي بالك .. إحنه صبرنا كثير . خلينه ناخذ نفس والجايات أكثر من الرايحات) وأنبت نفسها وعاهدتها أن تخرجه من عالمه الذي طرأ عليه وتعيده الى سكنته الأصلية بعد حين لن يطول . لذلك ارتابت في تعليقه على مائدة الحاجة ميمونة وقالت له فيما قالت (خاف شايفلك شوفه عفتان ؟ أشو الفار يلعب بعبي) وضحك حينها على ما فيه من حزن وشرود قائلا (عرب وين طنبوره وين؟؟) وفي هذا كان كاذبا . لقد أحيت الحاجة ميمونة فيه جسدا ميتا ونفخت فيه من روح جسدها ما سيعيده لسكته من جديد مذ صادفها لمرتين قبل ان تقف قبالته وتتحدث مع ابنتيه أمامه

وتبادله التحية يوم جاءته بمائدتها العامرة التي تسببت بإيقاظ رجولته النائمة كما أضاءت له بنورها طريقا سيدخله ثانية من خلال أحضان رضية إذا عجز عن الوصول الى الحاجة ميمونة وهو يدري أنه عاجز عن ذلك حتما لأنه ما تعود ان يخون زوجته ولا أن يعطي او يبذل ويجامل ، وهوفوق ذلك لم يبق بيده او تحتها ما يعطيه ، كما ويحس بأنه ليس بالرجل الذي تحلم به الحاجة ميمونة ، فما هو الا نازح ينظر الآخرين اليه باتهام او بعطف مشوب بالحذر . إنه يعرف قدره ورحم الله رجلا عرف قدر نفسه .

أما عن الحاجة ميمونة فهي في حقيقة أمرها لا تحلم به ولا بسواه . إنها مشغولة بعماد دون كل الرجال . وما بين عماد وعفتان كالذي بين السماء والأرض في كل شيء لذلك وسواه مما يحزره او يجهله عفتان سيعود لرضية من جديد . سيعود والفضل في ذلك لوجبة غداء جادت بها امرأة اسمها الحاجة ميمونة على العائلة النازحة التي حلّت قريبا منها ...

٥

خرج مسعود الفران عن صمته بعد يومين كاملين لم ينبس خلالهما بشفتيه إلا مضطرا وبنعم أو لا وهو يداعب عجينة بين يديه محاولا تشكيل صمونة جديدة تختلف بهيأتها عن الأخريات شكلا وذائقة من خلال إضافة أنواع من السكر والمطيبات اليها لتغدو كما يتمنى حلوة في كل شيء محدثا صاحب الفرن الذي يعمل فيه وقد عنّفه لشكاوى طرقت سمعه تضعه – أي مسعود – في دائرة اتهام غير حقيقية ولا يظنها وبقناعة إلا وشاية حاسد وإن كان يرى أن لا بد من تنبيهه الى أن ليس كل من يضحك معه يحبه بل إن الكثيرين ممن يشاركون مسعود دعاباته يضمرون له غير ما يبدون مدفوعين بامتعاض منه حاسدين إياه على الحظوة التي ينالها عند سيده وحب زبائن الفرن إياه لخفة دمه وروحه المرحة المقرونة بطيب لا يفارقه وبه يختلف عن سواه .

ومسعود الذي امتلك قلب صاحب الفرن فخوله التصرف باعماله كاملة بعد أن زوجه بابنته كان الأخ الأصغر بين أشقاء

وشقيقات غادروا بيت أبيه بعد وفاة أمهم واستقلالهم ببيوت خاصة بهم وظل وحده ملازما أباه لتعلقه به ولأنه ما زال دون سن الرشد وإن كان صاحب نظرة بعيدة واستقلالية في آرائه مجتهدا مواضبا على دروسه متخذا من نفسه درءا لأبيه في وجوه أشقائه الذين أساء بعضهم لأبيه بعد زواجه المبكر الثاني ولذلك لم يكن متوافقا معهم وإن كان متواصلا مع شقيقتيه المتزوجتين ومحافظا على الحدود الدنيا مع أحد الأشقاء إلا أنه أبى على نفسه أن يوثّق بهم العلاقة متخذا من المقولة (زر غبا تزدد حبا) منهاجا سار عليه إضافة الى خشيته من شرخ قد يحدث داخل عوائلهم نتاج إدامة التواصل معهم فالدنيا في رأيه قد اختلفت والأمزجة تغيرت و (كل واحد حاير بهمو) كما يقول حين يسأل عن فتور في علاقته مع أي منهم . كما أنه قد تشرب مبادئ الإعتماد على النفس منذ الصغر متأثرا بقراءات لكتب كان يتداولها مع زملائه وإن لم تكن بالمستويات العليا . ولأنه محبوب أبيه والقريب منه نال شيئا من حنق الأشقاء عليه متناسين أنه (بزر الگعدة) المدلل الذي ما رأى من أبيه ما كدّر أمه مذ وعى الدنيا لحين وفاتها وهي التي زرعت فيه حب أبيه والتعلق به ووجوب القبول بما يقرره عدا حب كان والده يؤثره به دون سواه .

ولأنه كذلك اختار متحملا شماتة أشقائه به مغادرة بيت أبيه مبكرا ودون مبرر مقنع لتلك الخطوة التي اتخذها وظلت سرا

مبهما وعلامة استفهام عند معارف العائلة بشكل تام وعام ولدى عمه صاحب الفرن الذي تحدث اليه قائلا اثر وشاية نالت منه وحاسبه عليها مفض بمخزون قلبه أمامه وهو يقول ..

- صدقني.. لست ممن تظن أو كما طرق سمعك يا عم

- واثق مما تقوله يا مسعود أنا ، لكني ألومك حين أراك تدع منفذا مفتوحا لمن يريد أن يوقع بك وأنت على ما أنت عليه من نباهة وهمة وذكاء .

- هم لا يعرفون سيدي من يكون مسعود الفران .. وكيف عاش مسعود الفران !! وعلام يحب ومن يحب ؟ وسأقول لك عني ما لا تدريه ياعم وما لم أبح به من قبل إلا لنفسي ...

أنا لا أحمل الضغينة لأي انسان رغم ترسبات داخلي من طفولة مرة عبرتها سالما لكني لا أحب الجميع بمستوى واحد حتى وإن جاملت وهزلت في أماكن تستوجب الجد أحيانا ، فمسعود الذي أمامك والذي عبر العقد الثالث من عمره سيحكي شيئا عن نفسه لا تعرفه رغم أنك أقرب الناس لي وجد أطفالي ، وعن أيام عاشها مرة كانت وعلقما لو مرت بسواه غير انه أحالها الى ما ليست عليه مذ وافى الأجل امه وهو دون العاشرة من عمره ليتلقفه ساعدان بضان وحضن لم يحس فيه الدفء الذي فارقه مع فراق أمه ليعاني زمهريرا دائما رغم محاولة زوجة أبيه الجميلة التي احتلت السرير الأثير الى قلبه على أن تقوم له مقام أم انعشت فيه الرجولة المبكرة دون أن تحرك فيه عواطف طفل

اتجاه أم دخيلة فيها من الأنوثة أكثر مما فيها من الأمومة مذ داهمها مرة وقد أزاح تثاؤبها النعاس عن عينين حالمتين ساهمتين في المجهول وقد كشف ثوبها عن ساقين بيضاوين ممتلئين يباهي أحدهما الثاني بجماله أحس مسعود الواقف أمامك الآن وكان قد عبر العقد الأول من عمره ببضع أعوام أن بخارا يتصاعد منهما ليلتقي بغيوم تتكاثف في صدره لتتسمر عيناه فيهما قبل ان تخرجه مما يعتمل بداخله بصوتها الرخيم مناغية إياه (صاير رجال مسعود .. صفناتك تخوّف .. تعال يمي تعال) . وبين هذه الكلمات وما استعر في جسده وكان قد اجتاز بقدميه أعتاب الصبا الأولى ارتبك مسعود ، وخوفا منه أن يقع في شرك نصب له ارتد الى الوراء تاركا إياها على سرير أمه الذي طالما احتضنته عليه وأحس بغير ما يحسه اليوم لو ارتمى لأحضان زوجة أبيه الحلوة التي دعته اليها ورفض كونها لا تصلح ان تكون له أما مذ بدأ يرشقها بنظرات حادة تدينها وليس باستطاعته محاسبتها إذ ما تزال امرأة غريبة في عرفه وإن كانت زوجة لأبيه ، كما أنه لم يمسكها بجرم مشهود آنذاك .

كان الجو باردا يوم وقع ذلك الحادث المشؤوم ، يوم بكّر ابوه بالخروج رغم عطلته الأسبوعية لأمر ما تاركا إياه في فراشه الذي أزاح غطاءه عنه صوت لانفتاح باب وانغلاق باب أراد مسعود معرفة كنهه فنهض من فراشه مسرعا قاصدا باب البيت ليرى حين فتحه بهدوء حذر قفا رجل يعرفه جيدا وقد عبر حدود

الحديقة غير المسيجة الى الشارع ليلقي به في خضم تساؤلات مريبة اجتازها غارقا بحيرة لم يألفها من قبل انتشله منها صوتها وهي ممدة على سريرها وعمودان مرمريان ينثني أحدهما محدقا بالآخر الممتد بجانبه لامرأة جميلة فتحت رمشيها المثقلين باتجاهه منادية إياه أن يشاطرها سريرها لأنه (صاير رجال) .

هكذا فهمها وقد لا تعني هي ما فهمه ولم يراود أفكارها ما يراوده الآن لو لم ير الرجل الذي يكاد أن يتيقن مسعود انه كان داخل غرفة أبيه . (لا ... ما اريد) قالها مسعود دون وعي منه واستدار نحو الباب الخارجي ثانية حتى دون أن يمسح عن وجهه آثار النوم بقطرة ماء أو يبل ريقه بأخرى ، تسكع في الشوارع نهب أفكار غريبة حالت بينه وبين إحساسه بالجوع بل بكل ما حوله لو لم يمر دون قصد منه ببيت لقريب له دخله على غير موعد وتناول فيه القليل من الطعام انتبه خلاله لـ (صمونة) حارة خيّل له انها تحاكيه قائلة إن هذا أول أيامك بالشقاء يا مسعود وسترافقه وترافق أحفادي كثيرا ، فشد عليها بيده ودمعت عيناه فمسحهما قبل ان تنتبه له خالته التي القاه الطريق أمام بيتها دون تفكير مسبق ، ولم يجب مسعود على تساؤلات خالته التي حدست أمرا غريبا ينازع ابن اختها اليتيم صمته، وأحجم من جانبه عن البوح لها بأي إجابة أو توضيح او أمر ما لها او لسواها فيما بعد حتى إذا عاد مع المساء لبيت أبيه أحس بسور من الشوك يعترضه أمام البيت وإن عبره وصبر على تأنيب أبيه له

لمغادرة البيت دون إذن أحد وغيابه عنه كان لزوجته الفضل في كبح جماح غضب الأب وتبرير فعلته بأنه اشتاق لخالته ولا عيب في ذلك وإن كنت أتمنى لو أنبأني بزيارته هذه .. ولو فعلها لرافقته أو حمّلته بحاجات بودي إيصالها لها ، وهو يدري أنها تكذب لتدرأ عن نفسها ما يخامره من شك صار عنده الآن شبه يقين .

لم يمر أكثر من شهر على هذه الحادثة التي رسمت بداية انهيارات في عالم مسعود تمثلت بانقطاعه عن المدرسة دون علم أبيه وإن تظاهر بالذهاب اليها وحجبت زوجة أبيه وقد اكتشفت ذلك عن زوجها بل وتقربت منه كثيرا محاولة اتخاذه صديقا وكسب ثقته محدثة إياه على غير ما اعتادت عليه من حبها له ووجوب حسن الظن بالآخرين معلنة عن حبها له حتى اكثر من حبها لأبيه وانها لا تريد له وبه إلا خيرا لذلك ستدافع عنه بكل قواها (لأنك غال يا مسعود . أنت مو بس ابني .. أنت حبيبي) ومسعود لا يعقّب بكلمة ولا حتى بإيماءة ، ولأنه يريد ان يكون رجلا بكلمة نافذة ولا يتسع البيت لرجلين قال لأبيه وهم على مائدة العشاء إنه سيترك البيت غدا ويسكن عند خالته لأنه وجد عملا قريبا من بيتها يعتاش منه ولأنه لا يريد ان يكون عالة على أحد . (لقد غدوت رجلا وبإمكاني رسم مستقبلي .

- ومدرستك ..؟ - قال له الاب – وشنو اللي يخليك تفكر بهالشكل إبني؟

- لا شيء .. – وبعد إسهامة قصيرة – من الأفضل للصغار أن يموتو مع امهاتهم

- شكو ؟؟ شصاير ؟؟ فهّمني مسعود .. أريد أعرف شكو ؟ شنو مضايقك؟؟

- لا شيء يا أبي .. قلت لك لا شيء . فقط أريد ان أكون مستقلا في حياتي وأعتمد على نفسي .

- وماذا سيقول الناس حين تسكن عند خالتك وأنا موجود ؟

- لن يقولوا شيئا . كل واحد مشغول بهمّهْ . كما اني لن انقطع عن البيت . آني صرت رجال .. خليني اشوف دربي .

- ومدرستك ؟ ما جاوبتني ؟؟

- تركتها . صار لي شهر تاركها ، وراح أشتغل وأعيش . ما إلي واهس بالدوام .. عليش هالمصاريف الزايده ؟ أتركها أحسن ، أرتاح وأريحكم وأبعد عنكم شويه و (لا عين تشوف ولا گلب يحزن) .

- شتشوف إبني ؟؟ وليش تحزن ؟؟ أنت صاير أكبر من عمرك . وليدي دوختني ، سولف لي .. أحد مضايقك؟ عمتك مثلا ؟؟

- لا أبدا يابه .. بس آني أشوف هيج . الليله آخر ليله وياكم ، بس آني قريب منك وعد عينك من تريدني، ومثل ما يعيشون الوادم ويرتبون حالهم ، آني هم ارتب حالي . هي الدنيا هالشكل ...

هكذا بت مسعود بالأمر واتخذ قراره غير القابل للتميز رغم صغر سنه فانقطع عن الدوام في مدرسته وغيّر سكنه وعمل صبيا لحلاق تعلم منه الثرثرة إضافة لإتقانه صنعته وهو في الخامسة عشرة من عمره ولا أحد يخمّن اسباب قراراته هذه غير زوجة أبيه التي يستحيل عليها الحديث بما تدريه وإن لم تتيقن من معرفته شيئا عن ذلك الصباح الذي داهمها فيه ممددة على سريرها غارقة في نشوة لم تصح منها بعد . تلك النشوة التي خلفها فيها الرجل الذي كان بمعيتها وصار السبب الرئيسي على ما تحدس لما حصل فيما بعد لمسعود الذي ارتاب بما يقرب من اليقين وإن لم تتكرر الحالة خلال الشهر الذي أعقب ذلك الصباح وتسبب في الشرخ الذي حدث وخافه مسعود على نفسه . خاف ان تجرفه رياح شهوات زوجة أبيه فيتحول الى لعبة بين يديها كما انه لخشيته على بيت أبيه من الهدم وعلى سمعته من الفضيحة التزم الصمت وقرر ان ينأى بنفسه عن ناس لن يصدقوه فيما لو تحدث بالأمر وعن كيد لمن لا يقدر عليها لو حشر نفسه بينها وبين أبيه وإن لم ينس أن يحذرها وهو يهم بمغادرة البيت بأنه يعلم كل شيء وأن عيونه ستكون مفتوحة عليها وسوف لن يرحمها مرة اخرى وأن لأبيه دين في رقبته سيأخذه منها لو أساءت السلوك أو انحرفت عن الطريق .

وجد مسعود لقدميه موطئا نظيفا في بيت خالته التي أسعدها وجوده معهم وإن لم يكن ليشغل الكثير من الوقت

وإياهم إذ توزع بين السوق وصالون الأسطى رشيد الحلاق في سوق المدينة العامر بكل غريب من جميل وقميء ، ولأنه (شغول) ونظيف أحبه أستاذه وأغدق عليه بالكرم فوق ما يحصل عليه من (البخشيش) والإكراميات التي يفيض بها الزبائن عليه والذين افتقدوه بعد عام من العمل في صالون الحلاقة واتصلوا به مرغبين إياه بالعودة للعمل في ذات المكان الذي اكتسب فيه النباهة وفنون المجاملة والثرثرة البريئة إلا انه رفض ذلك وإن لم ينقطع عن زيارة الصالون وتوثيق علاقاته من خلاله بالآخرين .
مسعود صار رجلا قبل الآوان واشتغل لحسابه الخاص في أكثر من مجال وأتقن الكثير من الأعمال وتفتح في السوق وتعلم منه البداهة والسرعة في الردود وترتيب الإجابات واليقظة والصدق في العمل وهو لا يود إيقاف امكاناته في خدمة الزبائن وجمع (البخشيش) كما انه لا يريد أن يدمن مسح أكتاف الناس وتعطيرهم حتى مع إتقان مهنة الحلاقة وبالشكل الذي بات يفضله البعض على إستاذه الذي لم يزعجه ذلك أبدا قائلين (تلميذ الاستاذ استاذ ونص) فاتخذ له (بسطية) وبدأ بما جمع من مال يتاجر بلعب الأطفال والبضائع الرخيصة حتى صار له مكان متميز في السوق وكأنه من مؤسسيه أعانته على ذلك لباقته وحلو لسانه وعفة يده وصدقه فيما يقول ويعد ، مما دعا صاحب الفرن المجاور له الى دعوته للعمل معه مغرياً إياه بأجور تفوق ما يحصل عليه من (بسطيته) كما أنه يوفر له سكنا دائما

، وحين اعتذر بأنه لا يعرف شيئا عن الأفران وأعمالها أجابه صاحب الفرن بأنك ستتعلم ذلك سريعا فأنت أذكى من ان تعتذر بمثل هذه الأعذار. واستجاب مسعود لهذا العرض وباع (بسطيته) وانضم الى عمال الفرن مشرفا عليهم لا زميل عمل وحسب كما وعده صاحب الفرن بالضبط معتمدا عليه في كل شيء لخمس سنين متتالية ائتمنه فيها على كل شيء وكان أهلا لحمل الأمانة التي وظّفها في خدمة الفرن وضاعف من دخله وطوّر فيه حتى غدا وبسرعة وكأنه فران أباً عن جد لا جديداً على المهنة كما ارتقى بالفرن للمحل الأكثر شهرة في حيه مما أسعد صاحبه فأحبه وقربه أكثر وعرض عليه تزويجه من إحدى بناته وتم له ذلك ليتحول من أجير الى شريك بحصة زوجته التي ما خانها ولا فكر في ذلك رغم طراوة لسانه مع زبائنه من النساء وهي تعلم ذلك ولا تؤاخذه عليه لأنه محل ثقة أبيها ومثله لا يخون كما يقول أبوها دائما ، وان أحب مسعود الحاجة ميمونة أو اشتهاها فلأن هيأتها تذكره بأول ساقين رآهما ذات صباح قبل أن يغادر بيت ابيه الى غير رجعة وزرعت فيه حب (البيضاوات) .. وحذره منهن معا ، ومشكلة مسعود التي يعاني منها شغفه بـ (الإيچات) وميمونة (إيچة) من الصنف الأول دخلت مزاجه منذ السنة الأولى لعمله في الفرن واحب فيها بياضها واناقتها واكتناز جسدها وان لم يفارقه الأدب وحسن الخلق وهو يلاطفها ويمازحها دائما بما لا يخدش الحياء حتى وهو يتخذ من صورتها ضجيعة له في

بعض الأحيان وهو بين ذراعي زوجته التي أولدها طفلين جميلين لا يبدلهما بالدنيا وما فيها ولا يفرط بأمهما حتى وان زاغت عيناه لسواها بين حين وآخر . ومع لطافة زوجته وشقاوة أطفاله وحبه لرب العمل - عمه - وإخلاصه لعمله وطراوة لسانه عاش مسعود محبوبا من الجميع محسودا من بعضهم فحاولوا تشويه صورته عند عمه الذي وبخه ذلك المساء رغم وثوقه من براءته ونظافة صحيفة أعماله ، وما استثقل مسعود كلام عمه معه لأنه يحس بحرصه عليه كحرص مسعود على الفرن وما فيه وكحرصه على عائلته الصغيرة وعلاقاته الحلوة المتوازنة مع زبائنه وعشقه اللامرئي للحاجة ميمونة التي تقرأ ما في داخله ولا تتجاوز تلك القراءة الى تطبيق عملي إطلاقا ولو حاولت لردها مسعود لأنه يدري أن خيانة الخبز تودي بالبيت وأهله ودليله خيانة زوجة أبيه التي القت به الى الشارع وهو في ريعان الصبا ، وستلحقها به حتما لو استمرت على ذات المنوال.

كانت هذه بعض إجابات مسعود لعمه بصراحة ووضوح حينها والتي فاجأت عمه فأخذ عليه عهدا ان لا يتكلم بمثل هذا مرة اخرى حتى لأقرب الناس اليه وانه سيحفظ بدوره هذا السر الذي شده الى عمه اكثر مما كان عليه وحببه به فصار أقرب اليه مما كان وتجاوز له عن هفواته وحتى عن إعجابه بالحاجة ميمونة التي كانت له بمثابة حلم لا يشتهي تفسيره ولا يود أن يستشف أسراره أو يدخل الى عوالمه .

الحاجة ميمونة ... جميلة وتكاد تكون بعمر أمي وأنا أعشقها لكني لن أسمعها ما يخدش حياءها ولن أسمح بالتجاوز علها او تلويث اسمها يا عم . إطمأن لذلك . فلي بك وبأطفالي وأمهم ما يغنيني عن الكون كله بعد ان فقدت أمي صغيرا وهجرت أبي صبيا وتقلبت في مقلاة الدنيا حتى وصلت لما وصلت اليه . يكفيني طيف ميمونة وحقيقة زوجتي ورعايتك . إطمئن يا عم للمستقبل الذي نحن من نبنيه ونسير اليه بخطى نظيفة تزيد الفرن اتساعا وتألقا وتزيدني بعائلتي الصغيرة التصاقا وعلى الحاجة ميمونة حرص (أوديبي) معجب لا طالب لذة ولا عشيق فراش او باغ لحرام ...

٦

- (ما ظل عليّ إلا عباس أبو قنبوره) ...

قالتها الحاجة ميمونة ضاحكة وهي تضع قدميها على بلاط رصيف الشارع خارجة من (كماليات القّبّرة) التي حوّرها سكان الحي الى (قنبوره) والصقوها بصاحب الكماليات الثري (عباس) الذي وفد الى المنطقة قادما من جهة ليست بالبعيدة لكنه ظل في عرف السكان الأصليين غريبا مذ دخلها قبل بضعة عقود من الزمن (حافيا) كما يقولون وتقلب بين مصالح وأعمال عديدة علنية وسرية بعضها لا يشرف صاحبها حتى غدا من الأثرياء وأصحاب الملايين الذين يمتلكون أكثر من عمارة وحانوت وعقار نمت وتفرعت كلها من (كماليات القبّرة) حيث كانت محطته الأولى التي اشتغل فيها عاملاً مستخدماً عند صاحبها الأصلي قبل أن يتملكها ويغير اسمها الى ما هي عليه الآن لتصبح مركز انطلاقه الى عالم الثروة والمال ولتغذي فيه طموحات وتطلعات لا حدود لها منحته الثقة بأن يعد نفسه من أهل المدينة ووجهائها ويجاريه بعضهم في

ذلك رغم إصرار الآخرين وهم الأكثرية على انه (الغريب أبو قنبورة) بالرغم من صحة بدنه واعتدال قوامه الذي لا عيب فيه ، كما انه متزوج وله أولاد وأحفاد وإن كانت نفسه ما تزال طرية رغم وقوفه على أعتاب السبعين التي ما حالت دون مجاراته (للموضة) وتقلبه مع تقلباتها لا يحول بينه وذلك كونه جداً وله زوجة صالحة لا يعيبها إلا انها زوجته و(خسارة هذي المهره عند هذا الكديش) كما يتحدثون في مجالسهم الخاصة التي يعيبون فيها عليه تصابيه وهرولته وراء كل جديد حتى في حياته الخاصة والعائلية منها ، ولعل هذا السلوك غير المفهوم هو ما دفعه لطلب يد الحاجة ميمونة رغم تقدم سنها الذي تراه يحول بينها وبين الزواج ثانية اضافة لكونها لا ترى بعد زوجها الأول من يجاريه في أي من صفاته الكريمة التي يتفرد بها لذلك التزمت الوفاء اتجاهه وإن تمنت لو التقت بشبيه له يشاركها وحدتها ، وحقيقة الأمر انها لو وجدته لرتبت واختلقت له عيوبا تحول دون زواج تتمناه وأوصدت الباب دونه بأوجه الكثيرين بعد وفاته ويوم كانت تتوق فعلا لرجل يسد فراغه الذي لن يملأه أحد بعده حتى ولا عماد الشاب الذي مالت اليه متأخرا واحبته حب جدة وأم تتمنى لو اتخذت من ولدها عشيقا ولا من يخمّن كنه هذا الميل اتجاه عماد إلا من قرأ (أوديب) ووعى حكايته مع (جوكست) ، لذلك ضحكت حين تقدم لخطبتها عباس أبو قنبورة وهي في هذه السن مكررة وباستخفاف (ما ظل عليّ إلا عباس ابو قنبوره) وهي تفضي ملاطفة جارة لها التقت بها صدفة بعد عودتها من السوق أمام باب بيتها وحدثتها ممازحة وعلى

سبيل الطرفة بالعرض الجديد في حديث طريف دفع جارتها الى إطلاق ضحكة عالية مشفوعة بـ (كثر خطابج وبرتي) .

- لج ملعونه –قالت الحاجة ميمونة– شدتشوفيني ميته على الرجّال ؟ لو بعدني بنت وعنّست؟ لو تتصورين آكو واحد يسد مكان الراح ؟. كبرنه عيني كبرنه .. هسه إحنه ندوّر الآخره والدنيا عفناها من زمان لأهلها .. من دورتنه ما دورناها .

- صدگ والله حجيه – قالت جارتها – بس يرحم والديج هذا اللي رجليه بالگبر شذكّره بيج هسه ؟؟

- يمكن حسباله آني لورد نايمه على خزنه ويريد يكوّش عليها . ما يدري آني ما أشتريه لا هو ولا الخلفوه بگطف جگاره . همداهم الرياجيل وين يشوفون لمعه يركضون عليها . يالله يمّه .. أشوفج بعافيه . ثم دخلت بيتها وبين عينيها تتأرجح صورتان لزوجها ولعماد مدندنة بـ:

ريت الحبيب يصير مگلد والبسه

وبين الصدر والزيج سنتين أحبسه

غارقة في خيالات وردية أحياها فيها عباس واستلها منها رنين هاتفها الذي تركته داخل البيت لترد عليه حين رفعته بيمينها :-

- هلا عيني .. هلا بالغالي

- ... ...

- ولويش صاير عصبي ؟ قابل آني مرتك ؟؟ إحجي عدل يول

- ... ...

- صدگ والله ؟ ما شفت مكالمتك . چنت خارج البيت وما ماخذه التلفون وياي .

- ... ...

- أي عيني .. وبعدين؟؟ أشو يول صاير تحچي بحيل صدر؟؟

- ... ...

- ههههههه .. همداك . عبالي أكو عدّك حچايه بيها حظ

- ... ...

- حبك برص . لك آني بگد أمك .. يالله ولّي .. بالليل أخابرك هسه ميته تعب .. إجيت توي من السوگ وما إلي خلگ أحچي .

واغلقت الهاتف ورمت به بعيدا لاعنة الحظ الذي القى بعماد في طريقها محدثة نفسها (خلّي يجي الحچي يشوف آخر زمن ، واحد عمره سبعين سنه يريدني إله مره .. وواحد عمره عشرين سنه يسولفلي بالحب . يا حب هذا ميمونه ؟!! والله انت مدوخه روحچ والنوب ورطتها ويّ عماد) .

لقد مرت أسابيع لم تر عماد فيها ولم تحادثه ولعل هذا ما أجج فيه شوقا ترجمه بانفعاله وهو يحدثها عبر الهاتف مصرّحا بحب يحيره ويحيرها هي الأخرى ولا تستطيع البت به والتجاوب معه ولا تريد إيقافه . هي حائرة ، لذلك لا يقر لها قرار ولا تدري ماذا تريد . وحين رمت بعباءتها على سريرها ووقفت أمام المرآة اكتشفت ان فيها ما يحببها للرجال . بياض صاف وتألق وطراوة لسان وابتسامة لا تفارقها حتى في أعتى حالات ضجرها ، ومكابرة على

الآلام ستدوسها وترتمي بأحضان عماد أو ستضم عماد الى احضانها الدافئة التي اشتاقت لرجل كتوم ترى صورته فيه دون سواه لتظل هي السيدة والأميرة الآمرة الناهية لا مملوكة لأبي قنبورة وأشباهه ممن يبحثون عن الحياة بين ركام قبورهم . إنهم سيسحبونها الى قبورهم لو تجاوبت وطروحاتهم عكس عماد الذي سيضخ فيها شبابا جديدا يزيدها تألقا ويروي ما تيبس من أديم جسدها الذي يشارف على البوار لو استمرت على ذات النهج المانع المعاند لفطرتها متسترة بستار الوفاء لروح زوجها طيب الذكر الذي ماتت رجولته فيه قبل موت جسده بسنين تاركا إياها مع نضوج وجموح جياد جسدها الجائعة واحتياج اديمها لماء جديد يبعث الخضرة في أرضها التي ضربها الجفاف وأضر بها ، . . . لكنها . . .

لكنها ... قال عباس ابو قنبورة محدثا نفسه عنها إنها لم تسمعني كلمة نابية تدل على رفض الفكرة التي بحت بها . إنها ابتسمت وقالت (شلّك بهالسالفه حجي) . . وخرجت . وهذا يعني فيما يعنيه انها لم ترد طلبي ابدا وان تظاهرت بالاستخفاف فيه . إنها امرأة ذكية وجميلة وإن اقتربت من الخمسين غير انها ما تزال طرية وشهية وممتلئة ومناسبة أكثر من سواها ممن يحدقن ببضائعي حين الدخول الى أي من محلاتي كالمصابات بالمس وهن يقلبن البضائع بجوع ظاهر ولا يشترين شيئا منها ، كما انها (شبعانة) لا تبحث عن مادة ما . انا أكاد احزرها . هذه المرأة ستكون من نصيبي ومعها سأستعيد قواي ورجولتي النائمة كاملة

وسيغنيني جمالها واكتناز جسدها وحلو حديثها عن الحبة الزرقاء وأخواتها . قد احتاج لحبات من التمر او الزبيب وفوائدها كثيرة لي بها وبسواها . سأعاود مفاتحتها ثانية واذا رفضت ولن ترفض لأنها لن تجد رجلا ملائما أكثر مني إلا إذا كانت (مخليه عينها على فد واحد ، ولازم أعرف منو الواحد . كل شي بوقته .. لا تستعجل عليها . طول بالك وهي جايتك جايه) .

عباس يهذي . أكيد انه يهذي وإلا من أوحى له بأني ابحث عن زوج بعد هذا العمر إلا إذا كنت (زوج) لا أفهم شيئا من أمور الدنيا . هذا رجل معتوه أغرته أمواله بطموحات أكبر منه وسأرده بعنف لو كرر طلبه مرة أخرى إذ يبدو لي من نظراته التي لاحقني بها وأنا خارجة من محله انه سيعاود من جديد، ولا لوم عليه . كان من الواجب أن أنهره وأوقفه عند حده وأعرفّه بحجمه الحقيقي ومن أنا؟.. ومن أكون ؟ ولمن سأكون لو رغبت ؟. أنا لم أرض بالزواج قطعا من الأحياء فكيف لي ان أرضى بالأموات ؟! قد أفكر بعماد حبيبا أناغيه او أناغي خياله من بعيد وأضاجع طيفه لكني لن أسمح لرجل بالنوم الى جانبي . (أفهْ ...أنا اختك يميمون).

وحتى لو قالت ذلك فهي غير جادة فيما تقول... سأعاود التقرب اكثر واكثر . قالها عباس وهو يبني قصورا من رمال على آمال خاوية يحلم فيها مؤملا نفسه بما سيدر عليه هذا الزواج من نعومة ونعم . إنه صفقة تجارية مربحة ، لا زواج بامرأة حلوة وحسب . ولم يدر في خلده أن من يحلم في الزواج بها تنفق على شالاتها وعطورها في اسبوع أكثر مما ينفق على نفسه من غذاء

ودواء ولأكثر من اسبوع . لذلك لم يحسب لما سيأتي حسابا عندما أغلق محله وانساب باتجاه بيتها عارضا نفسه لمن يتمنى ومن يتمناها حسمت أمرها بأن من تحول من مدقع حاف الى ثري بعد بضعة أعوام على ظهوره ليس بأهل للثقة كما انه ليس أهلا لأن يخطر في خيالها وهي الباحثة عن رجولة لا عن هيكل متداع ستحيله لو عصرته بساعديها الى كومة عظام نخرة ، وحين ارتمت على فراشها واغمضت عينيها .. استعادت نبرات عماد وانفعالاته حين اتصاله بها فاتخذت قرارها باللقاء به لاستكشاف ما بداخله علّها تصل معه الى مبتغاها الذي لا تعرف عنه شيئا .

لقد بدأ الشيطان لعبته معها وسيجرها منقادة لما يبغي وهي منساقة لنار أشعلها عماد فيها وهيهات لها أن تنطفئ قبل أن تحرقه في جحيمها إن لم يتداركها عماد بما تتمنى ولا تتمنى أو يدركها العقل الذي تراجع أمام عواطفها غير انه سيدركها وسينتصر . . .

٧

لصوت تساقط حبات مسبحة الكهرب المطعمة بالفضة واحدة فوق الأخرى وقع خاص يستلذ به حين يتحدث الى جليس له لذلك كان يباعد بين تساقطها الواحدة على كتف اختها بمسافات وثوان متباعدات ملتذا بذلك متحدثا عن منشئها وزمنها واهتمامه بها منذ دهنها بدهان معطر خاص جاءوا به له من جنوب شرق أسيا كما يدّعي ، وحين يمسك بحبة منها بين إصبعيه المزينين بخاتمين فضيين كبيرين يلامسها برقة وحذر ويتمعن بها وكأنه يحدثها عن سيرة حياته وما كان عليه وما صار اليه وهو يؤمّن على كل التحاق حبة باخرى بقوله (وهذي بشهادة) منها جليسه الذي كان أبعد ما يكون عن تصديق ما يتحدث به غير ان لصمته أمامه وإصغائه إليه معاني من بعضها حاجته لأبي قنبورة وارتباط مصالحه برضاه عنه لذا هو مجبر

على تحمل أحاديثه عن مسبحته و(بدلته) ولون أصباغ واجهة بيته وحتى باب محله عابرا منها ودون رابط الى فتوحاته في عالم النساء أثناء سفراته المتعددة الى بيروت والقاهرة وانقرة وسواها من مدن وعواصم لم ير معالم أغلبها إلا عبر شاشات التلفاز غير انه يرى نفسه مجبرا على الحديث عن ذلك أمام زائريه عامة ومن يحادثه الساعة خاصة ليرسم هالة كبيرة حول شخصيته المحيّرة لا تنتهي بهذا وحسب ، بل يعرّج اثناء ذلك على الحديث عن ثقافته وقراءاته وآرائه في الأدب والسياسة والإقتصاد . حتى الأدب الذي يدّعي أنه أحد فرسانه المعدودين وإن شغلته مصالحه وأعماله التجارية وأمور كثيرة اخرى لا يطيق سواه لها حملا أو الإلمام بأطرافها حتى لو كان جبلا بل ولا أكبر رأس عبقري على مر الدهور لذلك لا غرابة أن يقول له أحد كبار الروائيين الأجانب حين قام بترجمة بعض أقواله روائي عربي كبير التقى به في القاهرة وجمعهما معا معرض للكتاب أنه (فلتة) زمانه ومن الظلم وغمط حقوق الأدب والفنون أن لا يدوّن أبو قنبورة الذي يسمي نفسه (ابو الجود) آراءه وكتاباته ويدفع بها لسوق الكتب ومعارضها لحاجة العربي في ظروفه الراهنة لها فقد يؤسس عليها مستقبل أيامه وحركاته ولتعينه على الخروج الى الضوء من ظلام الواقع المر الذي يعاني منه العالم عامة والعرب والعراقيين بشكل خاص . وبين كل جملة وجملة يخرج من لهاته صوتا ضائعا بين التجشؤ و(التنحنح) يخز به جليسه كي يظل

مشدودا لحديثه القارغ كفراغ قلب أم موسى . هذا ما تنبه له عماد وصديقه وهما يقفان أمام بضاعته المعروضة على واجهة محله قبل ان يدلفا الى داخله مسلّمين بالإشارة حتى لا يقطعا عليه حديثه ويقفان على مقربة من مكتبه ويسألاه عن (بدلة) معروضة قريبا منهما فينادي على عامل المحل ..

- شوف الاساتذه وداريهم ، المثقفين إلهم مكانه خاصه عندي . ما أوصيك .. دير بالك عليهم .

ثم يعود لحديثه بعد أن يمر على البضاعة المطلوبة موضحا لجليسه نسج قماشها وثمنها و(مو كل واحد ينتبه إلها .. بس الظاهر الأساتذة أساتذه بكل شي . يعرفون البضاعة الزينه ويعرفون يستنگون) .. ثم يعود لحديثه السابق من جديد ، فيبتسم عماد واكزاً صاحبه هامسا قرب اذنه :-

- هذا شايف نفسه شوفه !!

- لا .. ويتصور نفسه فد شي !! – أجابه صاحبه–

- حقه عمي . من كشوان صار إمام .. ثم مستدركا .. على حظ أهل المنطقه . همّه يگولون هيچ ، فلويش نلومه بعد ؟! هذا زمن الرويبضات ... لو آني غلطان ؟؟

قالها عماد لصاحبه وهو يلمز عباس ابو قنبورة وهما داخل كمالياته لا شارين ولا بائعين ولكن منتظرين ومسترقين ما يتحدث به لرجل وسط من المتملقين وماسحي الأكتاف الذين

طغى صنفهم في هذا الزمن الأغبر على سواهم بحكم ظروف السقوط والاحتلال .

- لا ... والمصيبه ديحجي عن إنجازاته الأدبية والفلسفية . شعر .. روايه .. فنون وحتى .. إسمع اسمع . ديسولف بالنقد !! لا .. ويخالف العقاد والرافعي والزهاوي !! هاي شنو ؟؟ منين حفظ هذي الأسماء ؟؟ شي ما يشبه شي - قال انيس –

- (هيّه الفلوس تحكّي الأبكم) .. أجاب عماد ضاحكا وهو يستشهد بمقولة لرجل من عامة مدينته كان كثيرا ما يرددها معيبا امثال ابي قنبورة امامه (هيّه الفلوس تحكّي الأبكم)

- فعلا ... – قال انيس - . إنه الغنى الطارئ الذي دفع بأبي قنبورة وأمثاله الى الواجهة ليغدو متحدثا يصغي البعض له وهو الإمعة الأبكم مستقويا بما تحويه خزائنه من سحت حرام وأموال جمعها من مصادر عديدة قليل منها الحلال بل يندر توفره بين أكوام من الحرام الذي أحلّه لنفسه باجتهاد أملاه عليه عقله ومصلحته وإدراكه الأمور مذ غدا يظن نفسه كل شيء وفارس الحلبات في كل المجالات ومنها الدين والفقه والفتيا حين تدعوه مصالحه الى الاستعانة به او بهما .

إستل أبو قنبورة حكاية بدوية جرت لأحد رجال البادية إبان تدهور ثم سقوط الدولة العثمانية وقبل استعمار الغرب للشرق بعد أن تلاعب بها وحرّفها بما يحلو له ويلائم هواه ناسبا إياها لعائلة انتسب اليها ما تركت تاريخا يشرف أهلها وما عرف

عنها من صفات غير السطو والغدر والعنجهية والأبهة الكاذبة حتى قال قائلهم مفاخرا بجهل يؤطره الغرور ان قومه ما تركوا مدينة الا وخمشوها ، ولم يدر ابو قنبورة أن الخمش من شيم القطط والحيوانات الضعيفة العاجزة عن المواجهة فاتخذ منها مثلا طبقه على نفسه مذ بدأ هو الآخر يخمش الرائح والغادي بتنظيراته وطول يده وعجبه بنفسه التي طمحت لما هو اكبر منها بكثير فطرح نفسه زوجا للحاجة ميمونة التي اعتبرته (زوجا) بالفعل لمداس تربأ بقدميها عن انتعاله وإن فكرت باستغلال طموحه اللا مشروع للإفادة في عمل ينتفع منه عماد في أوقات فراغه ويعينه على مواصلة دراسته كما ويجعله قريبا منها فحاولت ذلك واسرّت به اليه مذ غدا لها بمثابة مستشار فلم يعارضها وان تحفظ عليه وحمله معه وهو يدخل لكماليات القبّرة منتظرا وصولها الذي سيتظاهر بأنه محض صدفة حدثت دون ترتيب او ميعاد .

شغل عماد نفسه بانتظار الحاجة ميمونة مع انيس بتقليب أثواب وبدلات ما كان أي منهما بصدد شراء شيءٍ منها وتبادل الهمسات والتعليقات الطريفة على ما يصلهما من أحاديث أبي قنبورة لصاحبه في شتى أمور الحياة قبل أن تدخل الحاجة ميمونة مسلمة على أبي قنبورة الذي اضطرب واختل توازنه مع دخولها فخاطب جليسه قائلا :-

- إيييييه .. واللي يشوف مو مثل اللي يسمع ، وآني شفت كثير ، واكيد دوختك . بس چنت أريدك تستفاد من تجاربي بهالدنيه .. وهسه ... الله وياك ، نتشاوف بعدين

استلم جليس ابو قنبورة امر الانصراف بامتعاض حاول إخفاءه عن غير قدرة فقال :-

- يا الله .. شغلنه هم خلص . حچينه هواي وهسه أتوكل ونتشاوف بعدين ، من يصير عندك مجال خابرني وآني اجيك

- اكيد .. اكيد ... . قال ابو قنبورة ماداً يده لصاحبه الذي أمسك بمسبحته مستغلا اضطرابه ومزمعا أخذها غير أن أبا قنبورة سحبها من يده قائلا (إلا هذي) . أوعدك بأحسن منها وهذا وعد حر .

ضحك صاحبه وعقّب وهو يهم بمغادرة المحل (غير لو بقى حر يا حجينا؟!) فأجابه (گول يالله .. الدنيا بخير .. وآني عد چلمتي) .

إفتعل عماد المفاجأة لحضور الحاجة التي قالت ملتفتة اليه : (عماد ..! هاي شجابك هنا ؟؟ تدور بدلات؟ أخذ اللي تعجبك آني سداده) . فسألها ابو قنبورة (الأستاذ عرف ؟ الظاهر عليه صاحب ذوق) ومخاطبا عماد (إبني كل المحل گدامك ، ولأنك أول مرة تزورنا فاختار الك ولصاحبك بدلتين وفلوسهن واصلات مني لخاطر الحجيه . الحجيه عزيزه علينه) ثم ملتفتا اليها : ما عرفتينه بالاستاذ ؟. قالت إنه من أقاربي ويسكن

إحدى شقتي في الحي القديم .. وكأنها تمتلك شققا لا شقة يتيمة واحدة . والتقط أبو قنبورة الحديث وبنى على ذلك آمالاً محدثا نفسه (إنها تمتلك شققا .. هذا اللي ما أعرفه . خوش صيده . لا تخليها تروح من إيدك ابو الجود) .. وقبل ان تنطق بكلمة جديدة فاجأه عماد قائلا : الله يزيدك ياب . إحنه ما نستعطي لا منك ولا من غيرك ، والحقيقه بضاعتك ما بيها شي عجبنه . بعدين أسعارك معلگه .. أغلى من سعرها بكثير ..

صاح أبو قنبورة بعامل المحل .. لك وينك ؟؟ جيب چايين للاساتذه ومي بارد وعلبة (راني) للحجيه . فقالت الحجيه ضاحكة (عود جيبها مجرشه .. گلبي حار) . وتصابى أبو قنبورة فرد عليها (فدوه أروح لگلبج).

كانت الحاجة ميمونة هي الأخرى تطمح لكتشف أبي قنبورة على حقيقته أولا ولتظهر قيمتها وانها ما زالت مرغوبة لعماد وأصابت الهدف في حركتها تلك التي دفعت بأبي قنبورة للتضحية ببدلتين مجانا لعماد وصاحبه وهو يظن نفسه (فهلويا) لا يغلب وبمجموعة هدايا وضعها أمام الزائرة التي رفضتها جميعاً وأصرت على دفع ثمن البدلتين ، وحين أبى وامتنع جاداً ملمحاً لها أن جيبيهما واحد وأنهما سيكونا قريبا ومتى شاءت في بيت واحد ، دفعت بالبدلتين اليه حانقة ومؤنبة إياه قائلة (انه لا يشكل شيئا في حياتها . وانها ترفضه جملة وتفصيلا بعد ان باح بما في نفسه مستغلا وجود الشابين قريبها كما ادعت) . ظاناً أنه

اشتراها ببدلتيه كما أن الوضع بالنسبة له ساء أكثر حين قال له عماد بأن هذا الأمر لا يمكن له أن يكون . ولو ارتضته الحاجة زوجا لها لقطع كل صلاته بها فهي أكبر من الارتباط بمدع لأشياء لا يحسنها وقد وعيت ما تقوله – قال لأبي قنبورة – وعليه ان لا يفكر في الموضوع ثانية محذرا إياه من معاودته فـ (ثوبنا غير ثوبك) وانك مهما كبرت بما تملك ستظل دوننا إذ ما زلت تتعامل رغم التظاهر بالتحضر بإسلوب التاجر الذي لا يريد ان يخسر أبدا ، لكنك ستخسر الآن . بل اعتبر نفسك خاسرا من هذه اللحظة . ثم اومأ للحاجة بالخروج تاركا البدلتين ملقاة على مكتبه قائلا للحاجة اني كنت ازمع المرور بك للسلام غير ان مجيئك غيّر ما رسمناه . سأوصلكم الى البيت قبل العودة لسكني فتوكلي يا حاجة . لقدَ أسعدني وجودك اليوم هنا ووفر عليّ وقتا أنا به ضنين .

خرجت الحاجة ميمونة بمعية عماد وصاحبه وكتم أبو قنبورة غيضا احمر له وجهه للمفاجأة التي الجمته عن الرد وما حسب لها حسابا فأنزل جام غضبه على عامل المحل الذي استرق لنتف من الحديث بين أستاذه وضيوفه وابتسم له مظهراً الشماتة وهو يراه يمد يده المرتعشة الى مجر مكتبه ويخرج علبة سجائر انيقة ويشعل واحدة منها متمتما بكلمات وصل منها لسمعه (بسيطة .. أكيد أكو غلط بالموضوع) . أما الحاجة ميمونة وعماد وصاحبه انيس فقد دخلوا شارعا فرعيا يؤدي الى سكنها

يعلو أوجههم البشر الذي ما عكّره إلا صوت عماد قائلا وقد اقتربا من بيتها أنهما سيذهبان في سبيلهما وسيتصل بها لاحقا بعد أن همس لها بكلمات دفعتها لترتيب أفكارها من جديد.

دخلت الحاجة ميمونة بيتها والقت بجسدها على أريكة قريبة من باب الصالة حالمة بليلة ممتعة تنتظرها على أحر من الجمر وتخافها مخافتها من النار.

٨

لعل من سوء حظي ان تتسرب روح جدتي الأولى الى جسدي في هذه الأيام الممحلة . انا الصمونة الثامنة السيئة الحظ التي تتنقل بين أكف أدماها الوجع وشققها الجفاف ، لم أكن محظوظة كجداتي ولا حتى كأمي التي كانت أحسن مني حالا وإن كانت دون من سبقنها من سلالتنا يوم دفعت بروحها لداخلي قبل ان يدخل جسدها لجوف جائع صادفها في السوق فتحل روحها بكيس طحين صغير جاد به المحسنون لذلك الجائع الذي حمله لمسعود الفران قاصدا استبداله ببعض من أبناء أسرتي وقبل أن تستقر في القليل من الطحين الذي شكّل عجينتي ودسها مسعود على غير رضا في اتون فرنه لأخرج منه ضعيفة قست عليها نار مسعود في غفلة منه فتركت ندوبا في وجهي . أنا الصمونة الثامنة من سلالة الأولى التي قلّبتها أحلى يد وأرقها قبل دخولها لجوف جسد بض ناء نحول خصره بثقل ردفه المتماوج المغطّى بأنق الثياب وأغلاها مما كانت تكسو به الحاجة ميمونة جسدها الجميل أدام الله عليها نعمه ورد

من يرثني من آل بيتي لها كي تنعم باستكانة مطمئنة في يد من يحسن التعامل معها ، وحتى يكون ذلك احكي عن حالتي الآنية وأنا أُدس بكيس بال نسج من خيوط النايلون وألقي بإهمال في صندوق سيارة مع أخوات لي طافت بين خيام النازحين ليكون مستقري بيد طفل عضه الجوع وأسعدني بقدر ما أشقاني وجودي بين يديه حيث سأسد بجسدي ثغرة جوع من ثغرات يعاني منها هذا الصغير اليتيم الأبوين ، ومبعث ألمي وشقائي كان مصدره اليباس الذي لحقني فوق ما على جسدي من حروق أحدثها إهمال مسعود الفران لي عن غير قصد.

دخلت لفم هذا الصغير المرهق وحاولت أن أبل جسدي بلعاب ريقه ليسهل عليه هضمي غير أن فمه لم يسعفني إلا بالقليل منه إذ جفت لهاته وتشقق لسانه من ظمأ وقهر ومعاناة ضربت هذا المسكين الذي لم يوفر له غدر الحروب أباً يرعاه او أما تصارع الحياة من أجله مذ أودى بهما القصف الملعون الذي طال مدينته قبل أن يغادرها معبأً بكل هموم العالم المخزونة في حقيبته المدرسية التي حملها معه بعد ان افرغها من كتبه وملأها بقناني الماء الصغيرة وكسر الخبز المنسابة الى جوفه قبل وصولي اليه بأيام وخلال رحلته المضنية التي رست به وسط هذا المخيم البائس المنسي لولا إحسان المحسنين من أهل الخير بعد ان تغافلت الدولة عنه شاغلة نفسها بسفاسف الأمور وتعبئة صناديق ساستها بالمال المسروق من براميل نفط البلد الذي للطفل منه حصة لا تقل عن حصصهم وإن لم ير منه إلا الويلات والهم ، وحين دخلت لأحشائه

وجدت امعاءً متيبسة ومعدة خاوية إلا من الهواء ودم حال لونه وفقد لزوجته حتى كاد ان يكون ماءً ، وتذكرت وأنا داخل طاحونة معدته الملهوفة لأي شيء يدخلها حكاية لأحدى جداتي نقلاً عن أمي حين كان يقلبها نازح آخر أحسن حظا من صاحبي إذ استطاع أن يركن لشقة صغيرة تضمه وزوجته وابنتيه وطفلين آخرين بجوار الحاجة ميمونة وحكايته مع شهوة جسدية أيقظتها الحاجّة فيه حينها فقال متأففا (تالي عمرنه نعيش على الصدقات وفوگاها من أرمله) وانتباه جدتي له وضحكتها وهي تقول (يا كذاب .. إنت ضايج على مود السله ، بس ما راح تگدر توصلها لو تطلع روحك) .

كانت جدتي اسعد مني حظا رغم انها هي الأخرى قضت في بطن نازح وأوصلت روحها ما حدث لها كما أنقل اليوم ما يحدث لي وإن كان نازحها غير نازحي ، والكف التي حملتها غير الكف التي حملتني و ... طحنت معدة الطفل الخاوية جسد الصمونة العلوية الثامنة بعد أن حلت روحها في أخرى ستعود مع بقايا اعقاب الصمون المتخلف في قاع كيس قد يصل ثانية الى مسعود الفران من جديد .

لم يكن عفتان النازح المستقر بجوار سكن الحاجة ميمونة والتي أشارت اليه الصمونة الثامنة قد استعاد نشاطه كاملا بعد أن تيقظ من جديد لكن عينيه الزائغتين بدأتا تتطلعان الى الحاجة مسترقا النظر اليها بين الحين والحين متحاشيا اللقاء بها حتى كان يوم طرقت باب شقته طالبة الإستعانة بإحدى ابنتيه لتنظيم بيتها ولم تقل تنظيفه احتراما لكرامة من استعانت بهم وخشية خدشها

مقابل أجر – قالت – سيلحقهم من الله واجور لن تبخل بها عليهم كونها وحيدة في البيت الذي يحتاج للترتيب بين آونة واخرى وقد عقدت العزم على تهيئته بأبهى صورة مذ همس عماد قرب اذنها بكلمتين تورد خديها لهما قبل ان يغادرها وصاحبه قرب بيتها .

التقط عفتان دعوة الحاجة لابنتيه ملهوفا وأجاب بالموافقة المطلقة على كل ما تريد قبل أن تجيب زوجته التي لحقت به الى الباب وهي المعنية بالأمر واحدى ابنتيها قائلا :-

- شكو بيها . الناس للناس . البنات وأمهم بخدمتج حجيه .. وآني هم حاضر إذا تحبين انظم حديقة بيتج وأخليها ولا حديقة الزوراء – ملتفتا الى زوجته – مو هيج رضيه ؟؟

قالت رضية أن حديقة بيت الحاجة مرتبه ولا تحتاج الى زيادة خاصة وأن ذوقها غير ذوقنا يا عفتان . وأجابت الحاجة مغلقة الباب بوجهه انها تشكره إذ أن ابن أخيها – وتعني عماد – يأتيها بين حين وآخر ويشذب اشجارها ويهتم بها بأكثر مما هي توليها من الاهتمام ، فضحكت ابنتاه في الداخل وكانتا تنصتان للحديث وقالت إحداهما بعد أن قرصت اختها (كبسة) إذ انهما يعرفان أباهما ولا يحسنان به الظن حين يتعلق الأمر بالنساء وإن لم تؤشر عليه شطحة في ذلك غير أن لسانه وعينيه تنبئان بما يختمر في داخله ويتمنى ، والبنت على سر أبيها وتفهمه أكثر من سواها .

ارتبك عفتان وأجاب : (براحتج حجيه . آني حاضر شوكت تردين ، حسبيني أخوج .. وانت جار عزيز صاحبة فضل علينه .. وملتفتا الى زوجته : اخذي وحده من البنات ولا تقصرون ويه

الحجيه ، مستعطيا بطريقة خفية يبدو انه كان مضطرا لها ..
والحجيه هم ما راح تقصر وياكم . أشهد ما بالله بنت خير وتستاهل كل خير) . قال ذلك عاضا على غيض اجتاحه حينها وسيحد من نشاط جسده الذي خبرته رضية محملا إياها سبب استغناء الحاجة ميمونة عن تطوعه وخدماته التي عرضها . لقد قرر معاقبة رضية وحرمانها من لياليه الملاح التي كان يفيض بها عليها لمرتين في الأسبوع على أسوأ الأحوال خاصة بعد ان عاد جسد رضية لحيويته وبدأ يشع بحرارته اللاهبة على جسده كل ليلة ولولا وجود ابنتيه لما وفّر عليها النهار أيضا إذ أبدل استقرارها النسبي في شقتها من حالتها النفسية والجسدية وغدت أكثر منه شبقا في أحايين كثيرة غذى هذا الشبق خروجها المتكرر الى سوق المدينة وشوارعها وما تشاهده فيها من انفلات وحركات مغرية من العابرين والعابرات اثناء تجوالهم بين محلات الملابس المعروضة في واجهاتها من إغراء وتنسيق تعلمت منه إضافة لما لديها من خبرات طرق إثارة جديدة لعفتان بما ترتديه من ملابس واكسسوارات وما تستخدمه من عطور ومكياجات وأدوات زينة كانت لا تبخل على نفسها بشرائها حتى لو أخل ذلك بميزانية البيت الذي لم يحسب له عفتان حساب بعد ان روته جسديا وضخت فيه ماء الحياة الذي خاف على نفسه من نضوبه أثر ما تعرض له من احباطات منذ غادر مدينته وفقد وسادتيه الأثيرتين .

مر اسبوع بحاله لم يقترب عفتان من رضية بعد زيارة الحاجة ميمونة لهما ولا كلمها الا نادرا غير انه وفي منتصف الأسبوع الثاني

استجاب لإغرائها بعد استفهامها منه وهما في فراش واحد عن سر خموله معترفا لها : ضيعتي عليّ صيده من العمر . شنو تخسرين انت لو ناطيتني مجال انسق ويه الحجيه المليانه فلوس ؟؟ تخافين أعوفج ؟؟ لا . هذا ما راح يصير لأن انت الباقية وغيرك ساجيه نشرب منها ونعبر من فوگاها . فقالت له : عاجنتك وخابزتك عفتان . ليش تريد تخرب علاقتنا ويّه الناس؟ بعدين ليش آني ناقصه؟؟ اكثر من اللي عدها عندي ، ولا تحجي بالفلوس .

إنت تعرف زين آني (مثل الفريك ما أحب الشريك) . فضحك وضمها الى صدره وذاب فيها وأذابها . أما الحاجة ميمونة فقد استغلت ابنة عفتان وامها قبل ذلك وأعادت ترتيب بيتها بما تظن انه يروق لعماد ويليق به ، وهيأت نفسها لاستقباله وكل خلية من جسدها تصرخ بالجنون وتدفع بها لطريق لم تسلكه من قبل وقررت الدخول فيه على حذر فللضرورة أحكامها ولا ضرورة أكثر من حاجتها لرجل تداعبه وهي آمنة مطمئنة وتروي بمائه أرضها الآيلة الى الجفاف ، غير ان ما تتمناه وتعمل عليه لا ولم ولن يحدث .

٩

من منكن تخمن بم يفكر هذا العماد ؟؟؟

همست الصمونة التاسعة التي حلت بها روح اختها ولم تكن أفضل منها حالا وهي ممددة بين أختين لها على طاولة مهترئة في مطعم شعبي أمام عماد الذي دخل المطعم بمفرده بعد أن افترق عن صاحبه أمام بابه الذي توسط زقاقا ضيقا تفرع من الشارع الذي اعتاد قطعه ممتطيا قدميه في ذهابه الى كليته ورواحه الى سكنه مؤملاً معدته الخاوية بما يسد رمقها بعد أن عضه الجوع الذي أدمنه قاتلا إياه بالراحة كما يقولون أو بالتفكير بما ستؤول اليه علاقته مع الحاجة ميمونة التي غدت تشغل الكثير من تفكيره عن غير إرادة منه في حين كانت الصمونة التاسعة تسر لأختيها ببعض ما تظن عماد يفكر فيه بعد ان ألقت عليهما سؤالها ثم أوصتهما به خيرا إن كان مصيرهما معدته – كما قالت لهن – وحدث أن انسلت روحها لأي منهما ، فيما كان عماد يقلب نظراته بينها واختيها ملامسا إياهن بأطراف أصابعه محدقا

بصحن الخضار الذي وضع بجانبهما منتظرا وصول صحن الباقلاء الذي تعود على تناوله لمرتين في الاسبوع على الأقل في ذات المطعم كونه الأرخص سعراً والأكثر فائدة كما يقول وإن كان يخيل اليه أحيانا ويقنع نفسه بأن باقلاءه ليست دون (الباچة) التي لم يذق لها طعما منذ أشهر عديدة ، بل منذ فارق مدينته حتى غدت حلما له يستعيض عنه حين يكون جيبه بحالة مرضية ببيضتين مقليتين يفرشهما صاحب المطعم فوق صحن الباقلاء فتزيده اناقة ومادة غذائية بخل عماد بثمنها عنها لقنان من العطر الرخيص الذي يرش به جسده وملابسه بين حين وآخر وحين يكون على موعد مع الحاجة ميمونة بشكل خاص ، وحين وضع نادل المطعم صحن الباقلاء أمامه دون أن يسأله عما يود تناوله إذ تعوّد على وجه عماد وما يطلب ، بل بات كل زبائن المطعم يفتقدونه لو تأخر عن موعده لمرة واحدة وجلهم من الطلاب او الكسبة وذوي الدخل المحدود ابتسم عماد مناولا إياه الصمونتين ومفردا الثالثة عنهما قائلا:-

خليت الباگلا گدامي من غير ما تسألني شتاكل فعليش جايب لي صمون؟؟ خذ ذني ما أحتاجهن . الباگلا ما تتوالم ويه الصمون ، بس هذي و- أمسك بالثالثة – راح اوكّلها للطيور الي يم الجسر وأجرها الك.

ضحكت الصمونة وهمست (الطيور أجرهن أكثر) . وما أن أتم تناول وجبته وخرج وبيده الصمونة التي سيلقمها لطيور

الجسر . وما ان غادر المطعم حتى اخذه الطريق لغير ما رسم اذ تذكر ان عليه تسديد ايجار سكنه الذي قد حان وكان قد تصرّف بما ادخره له .

- لا يابه . لا .. لا.. الظاهر عليك بعدك ما عارفني، يا رهن ؟؟ يا سكن ؟؟.. إنت مثل إبني . صدگ آني حبيتك وسمعت منك حچي حلو .. بس يبقى كل واحد بمقامه ويباوع عاللي يصرف إله . وآني يصرّف إلي سكنك بالشقة وبالإيجار اللي تگدر عليه . تتأخر عن الدفع .. يفوت عليك شهر .. شهرين مو مشكله . تريد فلوس هيله عليك .. بس تفكر هيچ تفكير ؟! لا .. ما أقبل . صدگني لو ما حچي الناس چان أسكنك وياي ، بس شاگول لليسألني ؟؟ منو إنت ؟؟

- ماشي ... تقبلين نتزوج ؟!

- أووووي .. شگد إنت بطران . لك آني بگد أمك، مال أسلم نفسي بيدك وأخليك تتبطر عليّ ؟ هاي بعيده . لا بالحلال ولا بالحرام .

بعدين إحنه بيا حال ؟؟ حقك .. بعدك ما واعي وما تدري شكووو ... شديصير ؟!!

(بعدني ما واعي .. وما أدري شكو وشديصير !!) .. يبدو لي أن هذه المرأة أذكى مني وأكثر وعيا . أنا الذي كنت اظن نفسي متميزاً ومحيطا بكل شيء . نسيت نفسي وأنا أسابقها مرثونيا خلف شهواتي . هذا ما أظنها تريد قوله . حيرتني والله هذه المرأة . ماذا

تريد مني يا ترى؟ وما الذي لم أعه بعد ؟ . عليّ مراجعة نفسي وسلوكي وكل تصرفاتي . يبدو لي أني اسأت فهمها وإن لم أعد قادرا على الخلاص منها . كنت اظنها سهلة المنال وإذا بها تقولها صريحة (لا بالحلال ولا بالحرام) .. آآآه لو أستطيع الغوص لداخلها وقراءة ما يجول بخاطرها .

كان عماد ما زال ممسكاً بيده الصمونة التي خرج بها من المطعم وقد تغير اتجاه سيره دون وعي منه بسبب تداخل أفكاره وحديث الحاجة له قبل أيام وهو يخبرها بنفاد ما تحت يده من نقد وتأخر وصول حوالة مالية له من أهله ولذاك هو مضطر لإخلاء شقتها أو قبولها رهنا منهُ لحين إيفائها ، وهو يدري أنه لا يملك ما يرهنه لديها وهي تدري ذلك ايضا غير انها لا تواجهه بما قد يؤدي الى انقطاع هذا الحبل بينهما لو قالت له مثلا (وانت شنو عندك ترهن؟) وتصور هو ذلك لكنه لا يريد أن يبدو ضعيفا أمام امرأة أحبته وقدمت له الكثير واشعلت رغبته بالحصول عليها جسدا ويكاد ان يكون روحا لذلك تكلم على استحياء وتردد بموضوع الزواج الذي رفضته هو الآخر فاشعلت إضافة لجسده رأسه وشغلته باحتمالات بدأ ينسجها في ذاكرته ، وهل أنها وجدت رجلا سواه قد تتزوجه ؟؟ ومن يكون ؟؟ أبو قنبورة مثلا ؟؟ ليش لا .. عنده فلوس وأموره زينه والعمر مناسب إلها . لا. لا لا .. يستحيل . هي لا تطيق المرور في الشارع الذي يكون فيه – قال عماد محدثا نفسه - . اذن من ؟؟ لا أحد ..

لا أحد . كل ما في الأمر انها لا تثق بالرجال أولا ، ولأنها مغرورة وترى نفسها مطلوبة فتتعزز عليه وعلى سواه . أخشى من القول انها قد تكون ..!! لا يول . عيب . انها صائمة مصلية وبنت أوادم . لا حق لك في ظن السوء بالناس . إعقل عماد وفكر جيدا ولا تفضح نفسك امام الآخرين.. ومن هم الآخرون؟؟ حتى ولا نفسك... فاهم؟؟؟. فاهم . قالها بصوت عال حين احس بقرصة برد في جسده تنبه لها فاذا بالصمونة ما تزال بيده وأنه قد سلك طريقا غير طريقه .

عاد أدراجه سائرا باتجاه الجسر الذي تغطي سماءه طيور النوارس وتحوم فوقه وعلى جانبيه وقبل ان يصل اليه دخل مكتبة اعترضت طريقه وطاف بعينيه بين عناوين كتبها ، تناول واحدا وثانيا وثالثاً وقلّب صفحاتها ثم أعادها الى مكانها إذ اتضح له أن رأسه كان مشغولا بامور غير الكتاب الذي انصرف عنه في الأيام الأخيرة الى مواقع الأنترنيت التي ما تحصل له من أي منها معلومة تفيده ولم ير فيها إلا استعراضات لأنصاف مثقفين يراهم دون مستواه لكنه مضطر للهرب اليه من أطياف الحاجة ميمونة التي كانت تنام بين عينيه وحالت دون اهتمامه بما يجري للعالم حوله من حروب وتهجير وخيام لجوء ، ونزوح وقصف طائرات وخراب مدن وضياع صغار وذبح كبار . كل هذا يجري حوله بل في مدينته ومدن اخرى مجاورة وهو ماض سادرا في ملذاته وما يدري (شكو وشديصير) كما قالت الحاجة ميمونة الحائر بما تخفيه عنه أو

تبديه وكأنه موكل بها دون خلق الله متناسيا أنها إنسانة قبل ان تكون أنثى وقد تحمل معاناة أقارب ومعارف لها في مدينتها المنكوبة التي انحدرت منها قبل زواجها الى حيث تقيم اليوم وتعيش بعد ترملها.

القتلى بالمئات والمشردون ألوف ورغيف الخبز صار حلما لكثير من النازحين والمهجرين وهم عماد انحصر في امور تعدها الحاجة ميمونة اليوم بطرا ولا أبالية وانعداما للاحساس بالمسؤولية لكنها ترى فيه خيرا نائما ستعمل على إيقاظه فهو كما عرفته وبعد تجارب ما زال يحمل شيئا من مروءة مفقودة وتفتح غاب عن الجيل الجديد لذلك أحبته وتمنته لو يكون لها ولدا وإن اشتهته رجلا في أحايين كثيرة ، وحين وصل الجسر فتت صمونته ليلقمها الطيور الجائعة الحائمة فوقه . تذكر كم من الطيور البشرية تتوق لمثلها ، وبحركة عصبية متشنجة امتدت يده لولاعة في جيبه وأشعل من نارها سيجارة كانت بين أصبعيه وجر منها نفساً عميقا حتى إذا نفث دخانها تسلقه وضاع في عالم مترامي المتاهات .. عاد منه لبقايا صمونته التاسعة التي ما تزال في يده فألقى بها في النهر ودخل الشارع من جديد مردداً آخر ما قالته له (ما تدري شكو وشديصير وما يصير) .

ساعود لنفسي يا معلمتي الحاجة التي استفزت بي إنسانا غافلا عما يجري حوله لأعرف كل ما لم أعرف ... أو اتنبه اليه من قبل .

١٠

الصباح الجديد على المدينة محملاً بغيوم ثقل حملها على فضاء أطل حاول التمسك بها فأعجزه ذلك لذا تركها تتجزأ الى قطرات بدأت تغسل وجه المدينة الكئيبة وتبلل شوارعها الجافة المتيبسة المضناة بثقل أقدام السائرين عليها من ذوي القلوب المتحجرة خاصة وهم ليسوا بالقليل لتعيق وصول الحاجة ميمونة الى ساحة المدينة الرئيسية حيث مبتغاها المتمثل بجمع مبالغ نقدية أدرجت أسماء المرشحين لاستلامها من المعوزين النازحين حصرا ضمن قائمة انتهت من إعدادها بعد منتصف ليلة كان سميرها فيها قلق مستحكم بين هوى تريد تجاوزه وفعل خير تعوّض به ما ستفقده ووسوست به نفسها في أيام مضت محاولة بما ستجمعه من النقد الذي لن تظنه سيكون كبيرا تجهيز سلال غذاء فكرت بموضوعها منذ أيام كانت تطمح في أن تعالج فيها على قلتها جراح القادمين من المدن المنكوبة عساها تشعرهم من خلالها أن هنا من يهتم بأمرهم . وعلى قلة ما تمكنت

جمعه من نقد وسلع وملابس ومواد غذائية جافة جاد بها المحسنون في حملات سابقة بأكثر مما كانت تتوقع الحصول عليه ، ولعل ذلك عائد لحسن ظن اهل الحي بها وبجمعيتها اليافعة التي اعلنت عنها حديثا وأوقفت اعمالها لإغاثة النازحين والمهجرين الذين اكتضت بهم مدينتها ، ومن خلالها أشّرت تضامن الكثيرين من أهل حيها تجاراً وموظفين بل وحتى بعض من أصحاب الدخل المحدود . غير أنها وحين وصلت الى الساحة الرئيسية في الحي رفقة صاحبتين لها هذه المرة فوجئت بما حدث ولم تحسب له حسابا تمثل في حالة تشكلت أمامها وأيقنت بعدها ان الخير ما يزال في الناس موجودا ساعة وقفت في مواجهتها عجوز مستعينة بعكازتها ويدها الطليقة ممسكة بكيس صمون صغير قائلة : أريد مشاركتكم فعل الخير وهذا كل ما عندي .. ألا تأخذون الصمون ؟؟

وحين شكرتها واحدة من القائمات على تنظيم هذه الحملة من المتعاونات مع الحاجة ميمونة منبهة الى أنها كان بإمكانها – العجوز المتبرعة – دفع ثمن صموناتها نقدا مهما كان صغيرا تصدت الحاجة ميمونة لها قائلة : بلى .. نأخذ أي شيء تجود به الأيدي الكريمة ، ولا ضير من أخذه فقد يسعف جائعا .. ثم تناولت الكيس من يد العجوز شاكرة ونادت : من يشتري بشيء من الدنيا أشياء من الآخرة ؟ وقبل أن تعيد النداء ثانية انبرى أحد الواقفين صائحا بأنه المشتري ، ثم أخرج ورقة نقدية تفوق ثمن الصمونات

المعروضة بأضعافها ، وقبل ان يدفعها ليد الحاجة أمسك بيده آخر قائلا : عليّ بضعف ما دفعت ، وما لبث أن صار الأمر الى مزايدة أوصل سعر (كيس الصمون) لثمن أكياس خمسة من الطحين رست على أحدهم فدفع المبلغ واستلمه متباهيا وهو يصغي لصوت من داخله يهتف فيه (ويربي الصدقات) . وحين استلمت الحاجة المبلغ زائد مبالغ الآخرين الذين ساهموا بالمزايدة وأبوا إلا ان يدفعوا ما ثمّنوا به صمونات المتبرعة العجوز للجمعية الفتية التفتت الحاجة ميمونة للعجوز مخاطبة إياها (حجيه صموناتك مباركات) لتجيبها بأن هذا ما قدرت عليه وشاء الله أن يباركه بعشرات الحسنات لا واحدة عساها تنفعني يوم أكون بحاجة لها، فضج الجميع مهللين ومادين أيديهم بما يملكون حتى بلغ ما حصلت عليه الحاجة ميمونة أضعاف ما كانت تطمح اليه في حين بكت الصمونة العاشرة التي رقدت ضمن هذا الكيس وقد انسلت اليها روح اختها لأنها لن تسعد كما تمنت في إغاثة ملهوف حين امتدت يد لتخرجها من بين أخواتها وتناولها لطفل كان يرقب المشهد فأمسك بها وانطلق راكضا وهو يصيح (حصلت صمونه مباركه) ، وما درت الصمونة المباركة وهي بيد حاملها أنها ذاهبة لمن ينتظر وصولها وقد أناخ لجوع قاس وانها ستكون أوفر حظا من سابقاتها لأنها ستبعث الحياة او قد تبعثها في من يحلم بازدرادها . وكي يفي الصغير بما هتف به حين أمسكها بيده رماها في حضن مشرد يتكئ على جدار مفترشا رصيف الشارع وهو الى الموت أقرب منه للحياة رغم أصابعه المطبقة على قنينة ماء ممتلئة لنصفها

يمني جوفه وهو يطيل النظر اليها بما سيدخله وقد أحس بالجوع قبل ان ينهل من قنينته التي يهش بها بين حين وآخر سربا من الذباب اتخذ من جسده مسرحا للرقص مبتهجا بما عليه من أقذار متراكمة جراء ابتعاده عن ملامسة الماء كما يبدو عليه منذ أسابيع إن لم يكن أشهرا .

سرت روح الصمونة العاشرة وهي تنتقل ليد المشرد بعد ان استقرت بحضنه مذ رماها الطفل اليه لترتقي روحها قبل ان يذوب جسدها في جوف هذا المشرد وتطوف في سماء الشارع ثم تحل في مخزن للمواد الغذائية باحثة بين بضائعه عن اخت لها وجدتها أخيرا على مائدة صاحب المخزن الذي استغنى عن صمونتين أمامه بعد ان تجشأ حامدا الله على دوام النعمة آخذا بجمع بقايا مائدته لتستقر في إحداها قبل أن يودعها كيسا لجمع بقايا وجبات طعامه ويلقي بها في حاوية خاصة ستحملها عربة البلدية لمكب النفايات وهناك سيكون مستقرها وفيه سيتحدد مصيرها ولأين تؤول بها الأيام .

أودعت الحاجة ميمونة ما حصلت عليه من نقد في محفظتها وجمعت بمعونة رفيقتها ما تيسر الحصول عليه من مواد عينية في حوض سيارة تبرع صاحبها بنقلها والبشر يغمر وجهها حتى إذا ما وصلت لبيتها وأفرغتها فيه جرّت نفسا عميقا وهي تهئ نفسها بمعية صاحبتها او إحداهن لتوزيع ما حصلت عليه مبتدئة بقوائم لأسماء سبق لها ان أعدتها منذ أسابيع بمعونة عماد الذي تمنت لو يكون اليوم الى جانبها فهي بحاجة لرجل تأتمنه وما سواه يصلح

لذلك إلا انها خوفا من وسوسة شيطان يراودها نأت بالتفكير عن ذلك واعتمدت على رفيقتها متجاوزة أهواءها حتى إذا أتمت إعداد ذلك تناولت معهما وجبة غذاء دسم أعدته مسبقا وواعدتهما على أن تلتقي بهما صباح اليوم التالي لتهيئة سلال الغذاء ونقلها الى مخيم النازحين طلبا للثواب ومساهمة في إشعار العوائل النازحة أن هنا وخارج مدنهم وبعيدا عنها أناس يعيشون أوجاعهم ويعانون معاناتهم حتى وان سكنوا في بيوت محصنة لا خيام مهترءة الجأهم الزمن الخائب اليها .

اكفهر الجو فجأة وتلبدت سماؤه بالغيوم بعد ان صحت واشرقت شمسه قبل ظهر ذلك اليوم وما زال عماد يقلب في صفحات ذاكرته مناجيا بطل روايته التي يزعم انها ستكون شيئا كبيرا رغم انه لم يكتب فيها إلا بضع صفحات تمثل المحاولة الأولى له في هذا المجال .

إنه يكتب كثيرا ويمزق كثيرا ، منذ اسبوع مضى يحاول ولم يصل الى ماهية ما يكتب ولا استطاع الغوص في أعماق بطل روايته الذي يريده عصاميا ثريا في آن واحد ويعجز عن ذلك لقناعته باستحالة اجتماع الأمرين كون الدنيا هكذا (لو فلوس لو ناموس) ، ولأنه أغلق امام بطله سبل القدرة على الحركة مذ وضعه في قفص النزاهة والفقر المدقع في آن واحد مصرا على انتشاله من عالمه وإركابه سيارة فارهة تليق بمقامه وما رسم له في خياله وهو الذي ألبسه قميصه بالذات ومن المحال أن يكون ذلك أمامه سهلا وهو من أضاع فرصا يربأ بنفسه عن ركوبها لذا استعان عماد على

أفكاره بسكائر رخيصة أثقلت جيبه الخاوي بعد أن انقطع عنه ما يصله من أب له مضى هو الآخر قد غدا بسبب ظروف مدينته المحاصرة من الأعداء والأصدقاء على السواء ففكر بالاتصال بالحاجة ميمونة طالبا منها قرضا واستثقل الأمر مذ تذكر أنها سبق أن تنازلت له عن إيجار شقتها مخولة إياه استثمارها في اسكان من يشاء معه ملمحة بأنه قادر اذا اراد الإفادة من إحدى غرف الشقة عن طريق تأجيرها لصالحه ، ورفض العرض حينها لأنه اعتبر ذلك نوعا من الكرم المغلف بالإشفاق وهو ما يخدش كرامته ورجولته التي يخرمها العوز وضيق ذات اليد اللذان يعاني منهما ... وحين اتصل هاتفيا بالحاجة مستفسراً عن جمعيتها مبدياً استعداده للعمل فيها وبدون أجر إن شاءت ملمحا الى حاجته بذكاء فهمته رحبت بالفكرة موكلة اليه مهمة إيصال المواد العينية والغذائية للمخيمات وتوزيعها على أن تحتفظ هي بالنقد للمتعففين من النازحين في حيها والأحياء المجاورة وهم ليسوا بالقليل . وقبل ان يستلم عمله ويباشره واقعا وقد اتفق معها على ذلك أشعل سيكارته وحمل قلمه وكتب بخط بارز وسط ورقة أمامه ((على رصيف الجوع تنمو الشقائق)) .. وتمعن بما كتب ودخن كما لم يدخن من قبل ملقيا برأسه الى الخلف حتى إذا ما لسع جمر السيكارة اصبعه أطفأ سيكارته واقترح العبارة عنوانا لروايته ... وما لبث ان رمى بجسده فوق سريره وأغمض عينيه ونام .

١١

الصمونة الحادية عشرة وتمنت لو دخلت روح اختها بسواها لأنها ترى أن وجودها على مائدة جائع لن تقوى على إسعافه ودفعه لحمل بندقية ومقارعة أهل الشر والحد من شرورهم لا معنى له ، وانها تخجل أن لا تكون إلا وسيلة بقاء لمن استطاب السكينة واستمرأ بقاءه حيا يعيش حياة الذل وما كل حياة حياة ، وترى أن امتعضت ذوبانها في جسد كهذا لا نفع فيه . وحدثت نفسها بولوج عالم آخر لا تكون فيه مأكولة عساها ترى ذات يوم حال المستضعفين على غير حالهم او قد تحولوا الى ثوار ومقاومين ولو حصل ذلك – قالت – لشددت ازرهم بالكثير من شبيهاتي ليس بي وحسب فقال عماد وكأنه أحس بما يدور في خلدها حين نظر اليها ساكنة بجانب علبة سردين رخيصة التقطها من أحد باعة الأرصفة قبل عبوره الشارع الى شقته قادما من مكان غير معلوم إذ أنه الآخر قد ضرب في الشوارع على غير هدى موزعا بين معاناته وآماله المكبلة بآلام وأحلام ضاق

ذرعا بها فاتجه لشقته عائدا مضيفا إياها حين دخوله لشقته لرغيف خبز بارد تخلف لديه من وجبة غذائية سابقة جنب علبة السردين عازما على تناولهما معا كما اعتاد مذ غدا جيبه خاويا لاعناً السردين الممدد داخل علب أشبه ما تكون بصناديق الموتى حانقا على الحظ الذي ألجأه الى استخراج الأموات من توابيتهم وتناول لحومهم بعد أن كان لا يمد يديه من قبل الا لسمك الشط الناضج الذي يصطاده حيا ويميته على يديه ، وحين استقر في مجلسه اتكأ وأغمض عينيه أبحر في خيال وأمان راودته نفسه خلالها بقتل كل من ساهم في غربته وتشرده وضياع أهل مدينته غير أن عجزه عن الإتيان بفعل يتمناه يبرره استحالة تلك الأماني التي لا تتم الا بتنظيم وحشود لرافضين مقاتلين ، ومن أين وكيف يصل لمجاميع كتلك وهو الذي أوقف نفسه على حب ذاته مذ رضي لها أن تحيا بعيدا عن اهل محاصرين لم يشغله حصارهم لحين من الدهر عن الإنسياق وراء رغباته وشهواته المتمثلة بالتعلم والدراسة حينا وباللهو حينا ، وباقتفاء خطى امرأة بعمر أمه أو جدته كما قالت له الحاجة ميمونة ذات يوم ، حتى إذا ما فطن لخيبته مذ غدا ما فكر به بعيد المنال اشتهى ان يصير كاتبا فجهز أوراقه ليكتب رواية ما استطاع تدوين شيء منها بعد محاولات متكررة وإن وضع عنوانا لها قبل أن يخط فيها سطرا واحدا وكأنها الأخرى توأم خيباته مذ أحس أنه ما عاد سوى إسم علم ظل مبتدئا دون خبر يعرف به أو

فعلاً يحركه ، وحين اشعل سيكارته قبل أن يمد يده لمائدته الفقيرة وجر منها نفسا عميقا نهض معنفا نفسه التي لم تدفع به الى الحركة على يقينه أن (في الحركة بركة) كما يقولون قد يجد عن طريقها له مكانا نظيفا وفعلا يفاخر أو يواسي به نفسه بأنه حاول وفعل ، لذلك تناول هاتفه واتصل بالحاجة ميمونة عارضا عليها استعداده للعمل معها في جمعيتها التي حدثته عنها ودون أجر إن شاءت مستخدما معها مفردات تختلف عما كان يستخدمه فيما سبق عند التحدث اليها مبطنا بعض جمله بحاجته للمعونة داخل عبارات فيها الكثير من الألم والمكابرة التي ما عادت كما يرى تليق به ولا غابت عن فهم الحاجة ميمونة التي (عجنته وخبزته) كما تردد معظم النساء لكنها سعدت باتصاله على ما فيه من سمو على العواطف وبعدا عن الغزل الخفي الذي كان ينمق به كلامه وتأنس لسماعه منه فيما سبق .. (شبي عماد؟؟ يبين عقلان ..عسى الله يكون اتغير . صدگ هو محتاج . محتاج مصاريف ، محتاج أهل ، محتاج مره .. وآني گطعت بي بعد ما خليته يعيش بأمل . الصوچ مو كله عليه .. آني هم چنت سبب . الله يسامح ويغفر وخلي يشتغل ويانه من بعيد لبعيد)... تمتمت الحاجة ميمونة بذلك بعد ان تلقت عرضه للعمل معها بفرح وترقب مسندة اليه مهمة إيصال معونات المتبرعين لبعض مخيمات النزوح القريبة لقاء أجر يعينه وعاهدت نفسها أن يكون الأجر من مالها الخاص لا من أموال المتبرعين .

سلكت الحاجة ميمونة طريقا جديدا عليها لم تألفه من قبل شاغلة فراغها وثوابه – كانت تقول – (للحجي الله يرحمه) قبل سواه ، ولو كان حيا لطار فرحا ولأسعده ذلك بقدر سعادته بها ذات يوم ، وسعادتها بالتغيير الذي طرأ على عماد الذي احبته حبيبا وولدا في آن واحد ، وحين دخلت اليها إحدى رفيقات عملها في الجمعية الخيرية التي غدا منزلها مركزا لها وقرأت البشر في وجنتيها قبلتها قائلة (الحجيه كلش مرتاحه اليوم ولا مبيّن عليها تعب) . .

- شلون ما ارتاح وآني احس بروحي اشتغل وانفع الناس ؟ هذي وحده ، والثانيه خلصنه من هم الروحه والجيه للمخيم ، ولگيت رجّال أمين وإبن أوادم ياخذ المواد ويوزعها بدون لا نروح ولا نجي . ما علينه الا نشتغل بتوزيع الفلوس على المحتاجين بمنطقتنا . المحتاجين من النازحين وبس.

- عفيه عليچ حجيه . والله خلصتينه من هم وقهر المخيمات وأهلها . آني الصدگ ما هاويه الروحه لهناك . وداعتج گلبي ينعصر وما اگدر أتحمل شوفتهم بالحاله اللي شفناها گبل . عفيه عليچ حجيه .

كانت الحاجة ميمونة وبعد مرور ساعات على إنجازها المهمة ما تزال منتشية بالنجاح الذي تحقق لخطواتها المتتاليات مما ضخ في نفسها همة وفي جسدها نشاطا دفعها للتفكير في توسيع حملاتها والعمل على تنوعها عن طريق مفاتحة أغنياء

حيّها من أصحاب المحلات التجارية الكبيرة منها على الخصوص فاقترحت على رفيقتيها التجوال بين الأسواق المتميزة واستعطاف أصحابها من الأثرياء وحثهم على التبرع بما تجود به أياديهم من النقد للنازحين ، ورأت حين طرحها لفكرتها تجاوبا من رفيقتي عملها حيث رأتا أن ذلك يوفر لهما متعة المشاهدة والتعرف على طباع الناس من خلال باب قد يفتح لهما في قابل الأيام فرص تعينهما على اكتشاف الخيرين ممن يفعلون دون أن يقولوا لا من يقولون ولا يفعلون ، فكان ان انطلقت مع احداهما بادءتين بأكثر أصحاب المتاجر شهرة في حيهم (عباس ابو قنبورة) الذي ما أن أطلت الحاجة من باب معرضه حتى هب مرحبا وكأنما هبة حلت عليه من السماء على غير توقع منه ولا انتظار ، وإن لم ير في الزبونة القادمة الأناقة التي تميزها عن سواها إذ بدت رغم جمال طلعتها ونظافة ملبسها الذي اقتصر على عباءة سوداء خالية من التطريز وحجاب داكن الزرقة أخفت تحته عكس ما اعتادت شعرها بكامله دون ظهور الخصلة النافرة من شعرها المتميزة بها ، فحدث نفسه بأن الحجية ليست هي التي يعرفها .. أشو كلها سواد بسواد .. قبل أن يواجهها بسؤال مشوب بالاستغراب (عسى خير !!.. أشوف الحجيه مو مثل ما چنت أشوفها ؟!) . قالت إن مشاغل الدنيا وشواغلها كثيرة ولعل أشدها مرارة يا حجي عباس ما يعانيه أهلنا في مخيمات النزوح .. وما أنا إلا عضو في هذا الجسد المتألم لذلك أسست جمعية

خيرية لا بد وأن سمعت بها لإعانتهم وجمع التبرعات من الموسرين بغية إعانتهم والتخفيف من معاناتهم ، ورأيت ان من حق اسمك أن يتصدر أول قائمة ظانة بك خيرا وما أرى ظني إلا في محله كونك من أهل الخير المشهود بمعروفهم فجد عليهم بشيء مما تفضل الله به عليك وأعن جمعيتنا على النهوض بمهمتها تشجيعا لأول مبادرة تخرج من مدينتك وطلبا للأجر وفعل الخير بعد ذلك و(إيد وحده يا حجي ما تصفگ) كما يقول أهلنا . قال : حسنا فعلت وانا معك قلبا وقالبا وعاتب عليك أنك لم تخبريني بالأمر في بدئه لأعينك عليه قبل سواي ، لأني ما قصرت يوما في مد يدي للمحتاجين الغرباء وعابري السبيل فكيف اذا كان الامر يتعلق بأهلنا ؟ .. ثم بدأ يسرد عليها قصصا وحكايات من نسج خياله عن إحسانه وجوده عسى لهذه الحكايات أن تفتح له نافذة الى قلبها ذاكرا أنه في أيام الشباب وهو كما يقول ما زال شابا كان يملك مزرعة (وهو كاذب) في أطراف مدينته الأولى وقد ذهب مرة لجلب محاصيلها بساحبة آلية كان من القليلين الذين يمتلكونها ، وحين ملأها بنتاج مزرعته من الخضار وتحرك بها قاصدا سوق المدينة التي لم تكن ببعيدة عن مزرعته وجّه الفلاح الذي رافقه بتوزيع ما يحلو له من الخضار على الذين يمر بهم في طريقه ولم يفطن الى نفاد كل ما يحمله رغم تنبيه الفلاح له إلا حين وصوله السوق وترجله لإفراغ حمولته التي لم يجد منها شيئا . لقد جاد الفلاح المرافق له بكل ما فيها على السابلة والمحتاجين ، وما

أغاضه ذلك – قال – بل انه أكرم الفلاح على فعلته واشترى (علاگة مخضر) من البقال عائدا بها الى بيته فغدت تلك المأثرة علامة تميزه عن سواه في المدينة التي أطلق أهلها عليه حينها إسم (أبو الجود) .. وقال مثل هذه الحكايات أُخر جادت بها مخيلته فضحكت الحاجة ميمونة وقالت (البيك مخبور أبو الجود) وإن أسرّت في نفسها وهو يتحدث لها عبارة (انهجم بيتك شگد تكذب) ثم اردفت قائلة : أعن اليوم اهل بلدك أعانك الله وبارك في رزقك .

فتح ابو قنبورة او (ابو الجود) كما سمى نفسه درج مكتبه ساحبا مبلغا منه وقدمه للحاجة ميمونة قائلا : ولو هذا قليل .. بس آني متكفل بعوائل كامله يا حاجة .

جزاك الله خيرا – قالت – قابضة المبلغ منه بعد ان أدخلته لقائمة تحملها وانسحبت مودعة ولاعنة الزمن الذي أحوج الكرام الى اللئام والمدعين بعد أن جاملته ببضع كلمات وهي تغادر مكتبه ملتقطة منه همهمات فهمت بعضها ووعدته بأن لا تنقطع عنه معتذرة باستحالة انضمامه لجمعيتها كونها نسوية فقط وإن احتجناك فما أنت عنّا ببعيد .

أطلقت رفيقتها حال خروجهما ضحكة ممزوجة بـ (هذا شلون چذاب؟! والله حجيه تعرفين تطلعين الحيه من الزاغور ولو جايه وحدي ما حصلت ربع دينار) . وأمنت الحاجة على قولها بأن الله سيغفر لها مد يدها لمثل هذا من أجل اولئك .

ما زال عماد يقلّب موضوع عمله مع الحاجة ميمونة وذهابه الى أحد المخيمات صباحا وعقله نهب تجاذبات شتى بين حقيقة دوافعه للعمل وهل هو لله خالصا وللمعوزين أم للتقرب من الحاجة ميمونة وحاجته لها وقد بدأ ينأى بخياله وطموحاته عن التفكير جديا بها ؟! ام تعاطفا مع أهل مدينته الذين وفدوا مهجرين ونازحين انعكست سوء أحوالهم المادية على أبنائهم الذين سبقوهم بالمجيء للدراسة او لشؤون أخرى حالت بينهم وبين العودة لمدنهم قبل أن يضربها طاعون الارهاب ويحل بها ما حل وهو واحد منهم ؟ حتى إذا أخذته غفوة لم تطل نهض على رنين جرس هاتفه الذي أعلن له أن الموعد قد أزف أو كاد فنهض من فراشه مرتبكا جراء جدل له مع من أحب وقد طاف عليه خيال لها في نومه متوجها الى صنبور الماء ليرشق منه براحتيه على وجهه رشقتين قبل أن يتناول لقيمات من بقايا ما أعده لعشاء لم يستمرئه مع قدح شاي متبعا ذلك بارتداء ملابس قديمة له مخالفا طبعه في التأنق كونه اليوم سيذهب أجيرا لا عاشقا ولا معشوقا وليبدأ أولى مهماته التي كانت تنتظره بباب من كان يطرق بابها ملهوفا ويجر اليوم خطاه اليها جرا . قالت الحاجة ميمونة له بعد أن رحبت به ومنحته مبلغا من المال طالبة منه الإستعانة به على مهمته فقد يحتاج إليه .. واحس بكبريائه المطعون حي مد يده لاستلام النقد الذي كان فعلا أحوج ما يكون اليه، وقرأت الحاجة ميمونة ما يعتمل داخله فواسته بكلمات شدت من أزره

(الدنيا يا استاذ يوم الك ويوم عليك، بس اطمأن لازم يجي يوم تصير إلك) ثم اردفت (الدنيا... الدنيا.. ستعود بك الدنيا لذويك وتبقيك لي أخا وولدا وحبيبا) . ضحك شاكرا إياها جميل قطعها لما قد يرسم له خياله وما اتخذت من قرار بصدد علاقتهما وفهم ذلك واستوعبه قبل أن يرتقي السيارة الى جانب سائقها مودعا بـ (مفهوم مفهوم .. وما يوصلج إلا ما يرضيج حجيه) .

كان عفتان لحد تلك الساعة مواضبا على ليالي الخميس التي يفرغ فيها ما اكتنزه عقله من صور لجميلات الحي مع رضية وإن شغل بأفكار غريبة عليه أوصلها لرأسه ما يلاحظه من معاناة أغلب النازحين ممن كان يصادفهم في الشوارع وعلى أبواب الجوامع انتهت به الى نتيجة حسمها ذلك الصباح بأن لا مناص من المقاومة حتى وإن كان ثمنها دمه .

لم يعد عفتان البخيل اللاهي كما كان عليه من قبل . تغير فيه الكثير . وحين اتخذ قراره السري بالعودة وبمفرده الى بلدته مقاوما لا مهادنا ، وكأن روح الصمونة العاشرة حلت به احتار بمن يستعين ومع من يقاتل وكل من يدّعي مقاومة او تحريراً مجيّر لسلطة لا تتعامل معه إلا كما يتعامل الآخر في الطرف الثاني وجميعهم مسيرون من دول وأجهزة مخابرات تتفق جميعها بالإتجاه والهدف وان اختلفت في الطرق والأساليب والشعارات . سيعود – قال – ويحمل بندقيته ويقنص من كل الأطراف ما يراه سهل الصيد ولتكن الواقعة . ليكن الثمن رأسه .. لا يهم . لقد آن

أوان الشد . حدث نفسه بذلك أكثر من مرة بل بدأ يبث أفكاره تلميحا بين من يثق بهم من النازحين والوافدين فلم يجد من يشد أزره . لقد أكل الخذلان همم الجميع وما عليه إلا ان يسلك الطريق الذي ارتأى حتى لو بمفرده ، وليبدأ بالتنوير والتحريض جهد ما استطاع . إنه لا يريد ان يكون قائدا قدر ما يتمنى أن يكون مقاوما يبحث عن مترين من ثرى بلدته يضم جسده الملهوف لها ورأسه المتعب به ، وحين مر بأفران مسعود مطأطيء الرأس ضائعا فيما يسميها أحيانا (تخاريف) طرق سمعه من يناديه باسمه وحين لفت جيده رأى مسعود الفران الذي غدا من معارفه الذين أحبهم ووثق بهم يباغته متسائلا :-

- وين وصلت عفتان ؟؟؟
- ما أدري.. حاير .. (حيرهم الله الحيروني بدنياي)
- تعاااااال .. (ما تضيج إلا تفرج)

كان أكثر ما يوجع مسعود الفران منظر بعض زبائنه الذين يضغطون على أوراقهم النقدية البسيطة حين يبدلوه إياها بصمونات قليلات وكأنهم حريصون على وداعها وداع محب لا يرجو بعد لقاء ولن يرى مودعه أو من يحل بديلا عنه مرة أخرى لذلك كان مسعود يعيدها لمعظمهم متذكرا أياما مرت به قبل أن يستقر في فرنه هذا متعاطفا معهم، وقد يكون لهذا السبب اتخذ من بعضهم أصدقاء كعفتان الذي يشاركه الكثير من رؤاه في حبه للنساء وأحاديثهن وإن لم يكن مسعود فاحشاً أو بذيئا ولم

يتعد ما يبوح به لعفتان لسانه كما يقول .. وقد يكون لمسعود الباع الأكبر في تغيير الكثير من سلوكيات عفتان وأفكاره .

قال مسعود لعفتان مفاجئا إياه :-

- تدري لو آني بمكانكم ما أطلع من ولايتي ، هو الموت جاي هنا وهناك وبيها وبلاياها . صدگني اللي ما حب أهلك ما يحبك .. وعمر الجماعه ما حبونا...

- منو تقصد بالجماعه مسعود ؟؟

- تعرفهم زين ... يگولون أهل الأمثال (عدوانك من دور جدودك)

- يعني إخوانّه الـ....

- لا يابه لا . لا تروح بعيد . مو هالثخن . بيهم وبيهم . بيهم زين وبيهم شين . بس الشينين غطّوا عالزينين والأمر والنهي صار بيدهم . وإحنه ضعنه (بين حانه ومانه) . متگلي لأيمته الخاطر الزينين نبقى مسلمين أمورنا للشينين ؟ وتاليها .. نبقى على هالحال لو ندوّر على حل إلنه ؟ جاوبني عفتان بأي شي . روحي أحس بيها تطلع ويّا كل طلعه لطيرانهم فوگ مناطقنه .

- خوش... راح أجاوبك بسؤال.. إنت عندك حل؟

- گتلك هي موته وحده مو أكثر وإنت (إعرف راسك تعرف خلاصك) وترى .. وخلّي ابّالك .. اللي ما يوگع ما يوگف على رجليه . عفتان إحنه ما ونّينه و(الما يوني غرگ) وهاي شوفة عينك وگعنه وغرگنه . كافي عاد . خلي نوگف على حيلنه ...

- لا تدوخني مسعود وحچيك كله امثال والغاز وكل شي ما افتهمت منّهْ.

- عليّ آني عفتان ؟! إنتو كلكم فاهمين بس ... الله كريم . ما ليل الا وراه نهار

- دوختني . والله دوختني . مسعود ... الله كريم . اللي ابّالك ابّالنه كلنه بس (العين بصيره واليد گصيره) . وان شاء الله الگصير يطول .. والزغير يكبر وما تظل الدنيا بهالحال . أمشي احسن . اللي بيّ مكفيني ... اودعناكم .

هاجس التغيير انتاب الجميع وروح الثورة سرت في نفوسهم والوعي الجمعي ساد نتاج المآسي التي حلّت بالبلد فعم الصغير والكبير وبدت معالمه تظهر على الكثيرين حتى ان الصمونة الثانية عشرة سليلة آل صمون المقدس التي قررت النزول الى سرداب عميق والغياب فيه انتابها ذات الأفكارمذ حلت بها روح إختها ورأت ان أسلافها انطووا في بطون ليست أهلا للحياة سواء كانوا من الفقراء او الأغنياء ، جائعين ام متخمين.

... وأمام خيمة مهترئة كان عماد يخنق آهة حرّى وهو يرى أطفالاً بعمر الورد يتسابقون باتجاهه بغية الحصول على ما حمله في سيارته .

استذكر يوما أحاط به إخوته الصغار الجوع وقد خلا بيتهم من المال والغذاء فاندفع أبوه لجمع أعواد حطب وكسر خشب من الشارع المحاذي لسكنهم حيث غدا مهجورا إلا من

القليل كانوا هم بعضهم ليوقد نارا يضع عليها إبريق شاي يسد به مع بقايا قطع خبز يابس ما عاد في البيت سواها رمق عماد وإخوانه رافضا مغادرة البيت في ظرف مشابه لما يمرون به الآن حتى لو ماتوا جوعا فـ (ستر الانسان بيته) وان كان متداعياً وآيلا للسقوط ..- كان يقول -...

جفف الألم ريق عماد فنهل جرعة ماء من قنينة يحملها بيده وأقسم أن يعمل على تغيير الحال مهما كان الثمن .

السماء تسود والغيوم تتكاثف ولا بد من هطول المطر الذي سيحيي الأرض الموات .

١٢

لم يكن عماد حين أقسم على تغيير الحال يعلم أن هناك من سبقه الى ذلك ، وما خمّن أن من سبقوه رجال ما كانوا في الحسبان إذ ما تهيأ لأي منهم التعليم الذي حاز والأفكار التي مرت عليه وراودته من خلال قراءاته او التجارب التي خاضها على صغرها ولكنه مشبع بالألم والإحباط الذي مر به خلال عمره القصير وما توقع أن رجلين على سبيل المثال وامرأة لم يكن في حياة أي منهم ما يؤشر الى امتلاكه حسا ثوريا يتفوقون به عليه وان لم يعانِ اثنان منهما على الأقل معاناته إذ لم يكونا أصلا ممن هجّر أو نزح أو اكتوى مباشرة بوجع الاحتلال والتشريد غير أنه حين مر ذات يوم بطريق الصدفة بالحي الذي تقيم فيه الحاجة ميمونة وهو من أحياء المدينة التي التجأ اليها دارسا وهاربا في آن واحد فوجيء بسرادق يمور بالداخلين والخارجين يغلق الشارع

الذي تقيم فيه الحاجة ميمونة كما اكتظت الشوارع الفرعية المجاورة له بالمركبات والراجلة كان احتفاءً بمجلس عزاء لرجل ليس في الحسبان سبقه الى الطريق الذي حدثته نفسه به وعاهدها على دخوله فقاتل وقتل وقتل شهيدا وان هذا الرجل سيكون عفتان الذي ما عرف عنه إلا النزر القليل مما باحت به الحاجة ميمونة ذات يوم ذامة لا مادحة ، بل ظن ان مكروها قد حصل للحاجة التي حازت على حب واحترام أهل ذلك الحي . وحين اقترب من مدخل السرادق ليستجلي الأمر أولا وليستفهم عن صاحب العزاء استقبله مسعود الفران الذي عرفه من خلال الحاجة ميمونة واستعانتها به لعدة مرات في إيصال مواد عينية لمخيمات النازحين في أطراف المدينة، وكان متمنطقا بنطاق عسكري يغطى وجهه ألم مشوب بالكبرياء وهو يقول له جادا لا مازحا ... أهلا استاذ عماد ... الوطن والوطنيه معجونه بگلوب الفقراء. هم شفت زنگين يضحي ؟؟ هذا عزاء الشهيد عفتان ، فاستفيدوا يا مثقفين من دروس العامة . انتظرناك قبل هذا الوقت وإحنه موجودين بكل ساعه . حياك الله .. تفضل . ثم قاده الى كرسي أخلاه للتو صاحبه على ان يعود ...

لم يجد عماد على لسانه جوابا ولا تعقيبا . لقد اذهلته المفاجأة وجففت لهاته فما استطاع الوصول لكلمة يرد بها على ما سمع وكل ما قدر عليه أنه أخذ مكانه هامسا لمسعود (إن شاء الله موجودين) .

انفض عزاء عفتان يوم وصول عماد في يومه الثاني . وبدأ المواسون والمعزون بإخلاء السرادق وتهيأ شباب الحي القائمون على العزاء بلملمة ما في السرادق من مستلزماته إيذانا برفعه وظل عماد متمسكا بكرسيه مداريا صمتا قاتلا كان قد ران عليه منذ دخوله اليه لحين انفضاض الجميع بالتدخين والسياحة في أفكارمشتتة لم تأخذ بيده الى طريق واضح المعالم لو لم يمسك مسعود الفران بيده ساحبا إياه الى خارج السرادق الذي بدأ يخلو من مرتاديه قائلا :-

- انت باقي اليوم يمي وخلّي الشباب يرزمون (الچوادر) ويرجعوها واللي بيها لأهلها .. المكتب اللي استأجرناها منه مو بعيد .. وصاحبه جزاه الله خير .. اتبرع بيها وبملحقاتها ، إحنه ما سوينه شي ، أهل الخير كثيرين .

كان عماد ما يزال يصغي للفران مسعود بعينيه وحسب اذ هو لم يزل مشغولا عنه وسواه بما تسرده عليه ذاكرته التي عادت به لحديث أبيه له ومعاناته مع ذات العدو الذي غدت آثار مخالبه بارزة في جسد مدينته التي سقط على أديمها عفتان شهيدا ، وهي ذات المخالب التي أنشبها نفس العدو بمسمى جديد في جسد بلده مستهدفا خاصرته الشرقية منذ عقود عندما حاول اختراق حدوده وكيف تصدى له أبوه ورفاقه من جيله آنذاك وردوه خائبا متجرعا لسموم اعترف بمرارتها سيدهم حينها ، واليوم .. آآآه من اليوم . ها هم يعودون مدعومين من أعداء

الوطن متحالفين مع الصهيونية العفنة والصليبية النتنة مشكلين حلف مصالح مشتركة أودت بأجزاء من الوطن وتغلغلت في غربه غارسة خناجرها المسمومة في قلوب مدننا مستترين برايات مختلفة الألوان موحدة الهدف . ترى هل نحن دون آبائنا همة لندع ارضنا مرتعا لعلوجهم ؟؟ حاشا لله أن نكون كما يتوهمون . عماد يحدث نفسه بما انثالت ذاكرته عليه من ذكريات حكاها له أبوه يوم جرح وحمل جراحه وساما يفخر به في دفاعه عن شرق البلاد مخزّنا في صمته الدائم معاناة شريف وعلي وعبدالله وسواهم ممن استشهد أمام عينيه او فقد جزءا من جسده أعاقه عن مزاولة حياته بشكل طبيعي وهم يتصدون لرياح صفراء محملة بكل أحقاد أبي لؤلؤة وأحفاده التي هبت عليهم وهم متشبثون بمرتفعات (ميمك وماوت وكان الشيخ) وسواها .

لم يكن عماد قد انسلخ من ذكرياته تلك وحيرته بين الخنوع الذي يتلبسه وجيله اليوم وكبرياء أبيه ورفاقه آنذاك مسائلا نفسه : هل ان استشهاد وجرح وإعاقة الكثير من أبناء الجيل السابق ممن رافق أبي الذي ما يزال يحمل بعض آثاره دفاعا عن (بنجوين ومندلي والشلامچة ونهر جاسم) بعد أن سقوها بدمائهم حفاظا على ترابها كان لنضيع نحن خلفهم وبلا مقابل الأنبار والموصل وديالى وأخواتها ونسلمها لمن حلموا بالفاو فأحال

الرجال أحلامهم الى كوابيس تؤرقهم وتحيل أيامهم لسواد وموت وبوار ؟؟

علينا – قال – أن نسلك ذات الطريق ونعيد ما اغتصب من مدننا بذات اليد التي قطعها الآباء وإن امتدت اليوم متسترة بتنظيمات وميليشيات متعددة الأسماء مختلفة الرايات موحدة الرؤى والأهداف . وحين خرج عماد من سرادق عزاء عفتان ويده بيد مسعود متجهين حيث يقوده صاحبه بعد ان استله من صمته وحيرته تلك منساقا معه لدرب لا يدري أين سيوصله وإن كان مطمئنا ان يده بيد محب دونه تعليما وثقافة أو ما يصوره له خياله الذي أخذ يرسم طرقا مختلفة ستقوده حتما الى مدينته مقاتلا كصاحبه عفتان حتى ولو كان بمفرده وسلاحه يده وأسنانه ان عز عليه السلاح .

ما عاد بالإمكان لجم عواطفنا قال عماد محدثا صاحبه ، فكل شيء بان ولم يبق مخبوءاً لم نقرأه اذ (بان المستخبي) كما يقول اهل مصر . فاجابه مسعود بنعم .. (بان المستخبي) وطريقنا غدا واضح ولا تظن أنك وحدك فكلنا معك ، معك من لم يخطر ببالك حتى ، يا عماد و (يأتيك بالأخبار من لم تزود).

ابتسم عماد ابتسامة مكلوم وقال .. (ان تأتي متأخرا خير من أن لا تأتي) . وبين عماد ومسعود امتد خيط على غير اتفاق وترتيب موازيا للطاولة الفقيرة التي تحجز بينهما وتحمل قدحا شاي كانت تبدو هي الأخرى على غير ما هي عليه مبهرجة مزينة

بكل ما من شأنه ضخ دم العنف في شرايين الزائر القادم على غير موعد ، لقد رقد على احد جوانب المنضدة كتاب لا يبدو عليه القدم كثيرا ومجلة يزين غلافها رسم كاريكاتيري يتمثل بأفعى تهبط من غصن شجرة لتلتف على جسدي طفلين متجاورين مندفعة نحو اطفال آخرين اضطجعوا الى جانبهم مؤشرا على كل منهم إسم لبلد عربي كان العراق احدها وكان رأس الأفعى متجها اليه .

ها هي اقتربت منّا – قال مسعود – مشيرا للأفعى .. بل تكاد ان تلتف حولنا فماذا أعددنا لها يا صاحبي ؟ انظر الى زاوية هناك ستجد نساء ورجالا قادمين بعصيهم وسكاكينهم قاصدين الدفاع عنّا غير أننا .. أنا وانت ما زلنا بعيدين عنهم .. هل سنلتحق بهم أم نواصل التفرج عن بعد منتظرين ما يجود به المخبرون علينا من أخبارهم ؟. لا ترى ذلك بالتأكيد يا عماد لأني أنا الآخر لم أره مرسوما ولكني أحسه من خلال تأوهات النازحين والمهجرين والمتعاطفين معهم من زبائن هذا الفرن حيث التقي بهم كل صباح . فليكن لنا موقف ليس بأقل من موقف الأرملة التي نذرت نفسها منذ أشهر لقضيتهم وأعني بها الحاجة ميمونة وأنت تعرفها جيدا إن عجزنا أن نكون مثل عفتان رحمه الله .

فضاء الغرفة يختنق بدخان سجائر عماد ومسعود وذكر الحاجة ميمونة أيقظ في عماد مشاعر وأحاسيس وأموراً ليست في الحسبان مذ عرف ان تلك المرأة التي دوخته زمنا كانت تمثل

بوصلة المجموعة السرية التي نشأت في هذا الحي من المدينة وحددت الطريق الذي سار عليه عفتان وسواه فأيقن ان الصامتين العاملين دون ضوضاء هم حجر الزاوية التي يرتكز عليها كل بناء يعلو في وطن تكالبت عليه الضباع وكادت أن تودي به لولا يقظة اليقظين من ابنائه رجالا ونساء .

انقضى الليل سريعا وما زالت الأجواء مكفهرة ولا مطر يتراءى في فضائه سوى أمطار سوء تزخها طائرات التحالف المقيت على أبناء مدن أرادوا تدميرها تحت يافطة التحرير من إرهاب هم من صنعوه وأدخلوه اليها، وكان لهم ما أرادوا إلا ان اكفهرار السماء ويباس الارض لم يوقف الحاجة ميمونة عن مهامها مذ انتدبت نفسها لخدمة النازحين والمغضوب عليهم من أبناء المدن المنهكة المستباحة لذلك كانت أول من وقف على شباك مسعود الفران مناشدة إياه إتمام ما طلبت منه أمس حين أخبرته انها بصدد إعداد مأدبة على روح الشهيد عفتان ستدعو لها كل من لم تستقبله موائد الأثرياء من فقراء المدينة . قال مسعود ان كل ما تبغينه يا حاجة تم توفيره وزيادة وهو جاهز وسيكون في مكانه دون إبطاء ، غير أن لك عندي مفاجأة لن تحزريها ، وقبل أن يعلن عن مفاجأته كان عماد يقف أمامها بوجه ترتسم على صفحته علامات الكبرياء والتحدي استفزت الحاجة ميمونة التي قالت بعد الترحيب به وباحتفاء ظاهر موجهة حديثها لمسعود ... إن وجوده هنا هو في مكانه الطبيعي

جدا وإن تأخر فاني كنت بانتظاره وأتوقع وصوله يوما بعد يوم ، عليه أنا لم يفاجئني وجوده إن كانت تلك هي مفاجئتك .

دار حديث لم يكن طويلا بين الثلاثة أعقبه انسحاب عماد بعد انحناءة عرفان بالجميل أداها لرفيقيه مودعا ومؤملا إياهم بلقاء قريب قبل سفره الذي لم يحدد اتجاهه بعد كما قال لهما وان كان قد اتخذ قراره وحدد وجهته الجديدة وكتمها داخله لحين إتمام مستلزمات سفره ذاك ، ثم أعقبته الحاجة ميمونة متجهة الى محلات القبّرة أو (أبو قنبورة) الذي اتسع عمله وفاض لديه من المال بما لم يبخل بالوفير منه وإن لم يكن كبيرا على (جمعية الأخوات الصالحات لإغاثة النازحين) التي تديرها الحاجة ميمونة في حين تنفست الصمونة العلوية الثانية عشرة الصعداء وهي تتأهب لمغادرة مخبئها الذي اتخذت منه ملاذا معلنة أن السراديب والزوايا المظلمة لا تليق بالأحياء بقدر ما هي مثوى للأموات ، وسأغدو وقد حلت كل ارواح جداتي فيّ مع رفيقات لي أشواكاً في أفواه الطامعين والظالمين وسالبي حقوق الفقراء فأنا المهدية المنتظرة التي ستجند نفسها وسواها لإعانتهم في مقارعة المتجبرين والطغاة وسبيلي للتواصل مع الثائرين عنوان هويتي منذ اليوم لا الإختباء وتمني الأماني على الله ، ولا إشباع المترفين وفاقدي الدم والضمير . لقد آن أوان الانطلاق ما دامت دماء المقاومة قد سرت في أجساد الجميع ، وهيهات ان أرضى لنفسي السكون وسواي يقارع المتجاوزين والمارقين . ومن

دماء الشهداء وآهات المعوزين ودموع المظلومين سأستمد قوتي ولن أخذلهم فأكون لقمة هينة بأفواه المترفين والمستكينين .

شدّت الحاجة ميمونة براحتيها على الصمونة التي انسلخت عن أصحابها ميممة بها سلة كانت بيدها الأخرى مستبشرة بها خيرا وحاملة إياها مع ما تحمل من أشياء أخرى في طريقها الى محلات أبو قنبورة الذي رحب بوصولها معلنا أنه رهن الاشارة فيما تبغيه وتأمر به .

قالت ميمونة مهنئة ابا قنبورة بتوسعة أجراها لأحد حوانيته مجاملة أياه بـ (أبي الجود) رغم تحفظها على أموال تكدست في خزائنه وتشك في ان مصدر الكثير منها لا يرتاح لها بالها لكن الحاجة الى ما تحت يده تجيز لها مسايسته لحين استتباب أمور البلد الذي تعصف به العواصف من كل حدب وصوب .. لقد أرضاها أبو الجود هذه المرة بما جاد به معلنا انه على استعداد لتزويدها بالبنادق او أثمانها ان شاءت ، فقالت متوجسة ضاحكة (دخيل الله ابو الجود .. إحنه وين والسلاح وين؟ جمعيتنا كل همها توفير الخبز للجوعانين .. خلگ الله ما لاگيه خبز تاكل وانت تسولف بالسلاح ؟ جزاك الله خير أابو الجود استر علينه) مخفية عليه وعنه ما يتمنى ان يعرفه حافظة لأسرار من إئتمنها على أسراره .

بعد ايام مرت على هذه الحادثة التقى جمع من الشباب يتقدمهم عماد بمسعود الفران مودعين . ساد الأجواء صمت

مؤطر بالالم والأمل والرجال متأهبون للدخول الى طريق لا عودة منه إلا شهداء او أحراراً لا مشردين ولا نازحين . تبادل المجتمعون نظرات الحب وهم يصغون لتوجيهات القاها عليهم مسعود الفران الذي اتخذ من فرنه قاعدة انطلاق لأهدافهم بعد أن ارتضوه لهم في أرض الغربة أخا وموجها أكثر منه سيدا او قائدا ... في حين مضت الحاجة ميمونة بمعية رفيقات لها لإتمام المهام المناطة بهن القائمة على توفير الغذاء ومستلزمات الحياة لعوائل الشهداء والمقاتلين الذي عدتهم الحاجة ميمونة اولادا لها واخوانا ..

ذهب كل الى مهمته .. وجلس مسعود الفران على كرسيه واضعاً رأسه بين يديه مدندنا بلحن ابتكره الساعة يقول فيه :-

شالوا سلاح الولد   داسو على الكلفات
والمات لاجل الوطن   حي وأبد ما مات

سقطت من عينيه دمعتان حارتان ثم أردف قائلا مع آهة طويلة :- عساها ابخت اللي خلانه نمشي بهذا الطريق .. وازونه .. ما خلّونه عذر .. سدّوا كل الابواب بوجوهنه ، وما بقى إلنه غير درب الشهادة .. واللي يريد شي يفوت شي ... ولا بد أن تدور الدوائر على الباغي ... لا بد ان تدور على الباغي الدوائر...

انتهت

٢٠١٧/١/١م

طلال سليم آل جعفر

شاعر وكاتب وباحث في الأدب والتراث الشعبي

- المواليد : ١٩٥ : م / حديثة – الأنبار – العراق

- العمل : موظف اداري في مصرف الرافدين / فرع الرطبة .. احيل الى التقاعد عام ٢٠١٨م

المؤلفات المطبوعة:

- الهوسة : دراسة أدبية عن هذا النمط من الشعر الشعبي العراقي صدر عن البيت الثقافي في حديثة / الأنبار عام ٢٠٠٨م.

- شعراء شعبيون لم يقرأ لهم أحد : الطبعة الأولى صدر في عمان / الأردن عام ٢٠٠٩م ./ الطبعة الثانية .. صدرت في دمشق – دار العراب ٢٠١٧م

- وحدثنا الحكواتي فقال .. : مجموعة شعرية صدرت عن دار العراب / دمشق عام ٢٠١١م.

- المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر حسام آل جعفر : جمع وتحقيق صدر عن المطبعة الغربية للطباعة والنشر في الأنبار عام ٢٠١٢م.

- ديوان سليم العبدالله : جمع وتحقيق صدر عن مكتبة اليسر في حديثة / الأنبار عام ٢٠١٣م.

- بحوث في الأدب الشعبي : صدر عن مكتبة اليسر في حديثة / الأنبار عام ٢٠١٣م

- معلقة اللون : قراءة في اعمال الفنان التشكيلي العراقي دهام بدر: صدر عن مكتبة تنوير في بغداد / ٢٠١٧م

- تهيؤات في متاهة الرؤى : رواية .. صدر عن مكتبة اليسر في حديثة / الأنبار ٢٠١٨م

- على شواطىء الأدب : متابعات أدبية ونقدية : صدر عن مكتبة اليسر في حديثة /الأنبار ٢٠١٨م

- سفر النزوح : مجموعة شعرية صدر عن مطبعة اليسر – حديثة - ٢٠١٨م

. القرار : مسرحية جادة في (٣) فصول/ صدرت عن مطبعة اليسر – حديثة – ٢٠١٨م

المؤلفات المخطوطة:

- على رصيف الجوع تنمو الشقائق ... رواية

• مجاميع شعرية /عدد (٣)... ومخطوطات في النقد الأدبي والأدب الشعبي

المشاركات:-

• نشر الكثير من شعره ونتاجه الأدبي في الصحف والمجلات العراقية والعربية وعلى المواقع الألكترونية وشارك في جميع المهرجانات الأدبية والشعرية في محافظة الأنبار

• درسه وزميله الشاعر مهند ناطق صالح الاديب العراقي طلال سالم الحديثي بكتاب نقدي خصهما به وصدر عن مكتبة اليسر في حديثة بالعراق وتحت عنوان (في الطريق الى القصيدة.)

• خصه الاستاذ عبد المطلب حامد الراوي بدراسة وافية في كتابه (شعراء معاصرون من الأنبار/ج٢

- خصه الاستاذ شكري صبري الحديثي والمقيم في عمان قبل ان يتوفاه الله الى رحمته فصلا في كتابه (حديثة – في الانسان والزمان والمكان) الصادر في عمان /المكتبة الاهلية للنشر والتوزيع .. وكذلك الاستاذ معتز الحديثي رحمه الله وسواه ممن ارخ لحديثة وادبائها.

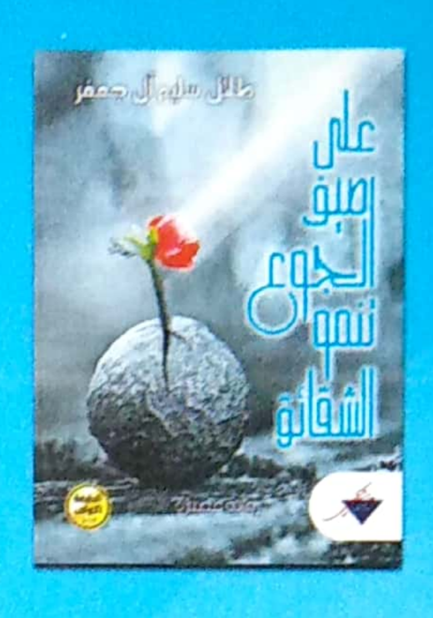
- من المؤسسين الأساسيين للمركز الثقافي في حديثة /الأنبار

طلال سليم آل جعفر

شاعر وكاتب وباحث في الأدب والتراث الشعبي من مواليد 1955م من سكنة مدينة حديثة في محافظة الأنبار في العراق.

المؤلفات:

-**الهوسة**/ دراسة أدبية عن هذا النمط من الشعر الشعبي.
-**شعراء شعبيون لم يقرأ لهم.**
-**وحدثنا الحكواتي فقال ..** / مجموعة شعرية.
-**المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر حسام آل جعفر** / جمع وتحقيق
-**ديوان سليم العبدالله** / جمع وتحقيق
-**بحوث في الأدب الشعبي**
-**معلقة اللون**/ قراءة في اعمال الفنان التشكيلي العراقي دهام بدر.
-**تهيؤات في متاهة الرؤى**/ رواية.
-**رايات** / رواية.
-**على شواطىء الأدب**/ متابعات أدبية ونقدية.
-**سفر النزوح** / مجموعة شعرية.
-**القرار** / مسرحية جادة في (3) فصول





طلال سليم
آل جعفر





دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - الموصل
ص. ب. 11019
المجموعة الثقافية
07701664335
mashky2019@gmail.com